مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

علوم القرآن
تاريخه .. وتصنيف أنواعه

إعداد

د . مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار*

---

* من مواليد مدينة الزلفي بمنطقة نجد عام ١٣٨٤هـ.

- تخرج في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونال منها درجة الماجستير بأطروحته " **الوقف وأثره في التفسير**"

، ثم الدكتوراه عام ١٤٢١ بأطروحته " **التفسير اللغوي**".

- يعمل أستاذاً مساعداً بقسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين بالرياض، ومشرفاً علمياً على موقع " شبكة التفسير والدراسات القرآنية".
- له مؤلفات وبحوث عديدة، منها: "**فصول في أصول التفسير**"، و" **أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم**".

الملخص

تحدث الباحث في هذا المقال عن محورين، ثم أتبعها بملحوظات عامة على علوم القرآن.

وكان المحور الأول والثاني حول الحديث عن مصطلح (علوم القرآن) وكتبه ، وتتبع الباحث الأحاديث النبوية وآثار السلف وتراجم العلماء وعناوين الكتب ، وخلص إلى حاجة إعادة البحث في تاريخ تدوين علوم القرآن لاختلاف طرائق العلماء في تناوله .

وقد استطرد الباحث في ذكر الفرق بين علوم القرآن وعلوم التفسير ، وعلوم القرآن وأصول التفسير ، وحرر الفرق بينها .

وذكر الباحث في هذا المحور بعض الكتب التي حملت في عنوانها مصطلح(علوم القرآن)، وحرص الباحث على ذكر الكتب التي لم يذكرها من سبقه ممن جمع المؤلفات في علوم القرآن .

وكان المحور الثاني عن ترتيب أنواع علوم القرآن ، وقد اجتهد الباحث في النظر في هذا الموضوع من زاوية ترتيب هذه الأنواع في منظومة متداخلة بحيث يجمع النظير إلى نظيره ، وتكون الموضوعات المترابطة تحت عنوان كلي مشترك .

وقد قدم لهذا بأسئلة متعلقة بهذه الأنواع ، وهي متى يصنف علم ما في علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي ؟ وما الفرق بين علوم القرآن وموضوعات القرآن؟

ثم خلص إلى مجموعة من الملحوظات على علوم القرآن ؛ ذكر فيها عددًا من المسائل التي يمكن أن تكون مجالاً للمدارسة والبحث والتحرير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن بداية ظهور علوم القرآن مرتبطة ببداية نزوله ، فلما نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ في غار حراء ، وتلى عليه قوله تعالى : ﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق: ١ ــ ٥] بدأت العلوم المرتبطة بالقرآن بالظهور شيئًا فشيئًا.

ويمكن أن يُستنبطَ من نزوله على الرسول ﷺ في غار حراء جملة من أنواع علوم القرآن، ففيه من العلوم :

علم نزوله، خصوصًا أول ما نزل .

علم قراءته.

علم الوحي.

ثمَّ ما لبث القرآن ينْزل مرةً بعد مرَّةٍ ، ويحدثُ من علومِهِ غير هذه الثلاثة على حسبِ موضوعات الآيات وما يتعلَّقُ بها .

تعريف علوم القرآن :

تقع مشكلة عند الباحث حينما يريد أن يقوم بتعريف للعلم الذي يكتب فيه ، خصوصًا إذا كان قد استقرَّ في ذهنه ذلك الأثر المنطقي في التعريف ، وهو أن يكون جامًعا مانعًا .

وذلك القيد متعذِّرٌ جدًّا في التعريفات على جهة العموم ، فضلاً عن تعريفات العلوم التي تتميز بتداخل المعلومات في كثيرٍ من الأحيان ، وبذا يصعب التعريف الدقيق المبين لجميع جزئيات العلم .

ومن ثَمَّ ، فإنه يمكن أن يُكتفى في تعريف العلوم بما يبين نوع هذا العلم ويميز مسائله عن غيره ، لذا كانت الأمثلة مما يصلح للدخول في تعريف العلم ، وهذا هو الحاصل في تعريفات المعاصرين لعلوم القرآن اعتمادًا على ما كتبه الزركشي (ت : ٧٩٥) ، والسيوطي (ت : ٩١١) في كتابيهما في علوم القرآن .

ومن تعريفات هذا العلم عند المعاصرين ما ذكره الأستاذ الدكتور فهد الرومي ، قال :(ويعرَّف علوم القرآن كفنٍّ مدون بأنه : مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءاته وتفسيره وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ونحو ذلك) (١).

فلو طبَّقت الحدَّ الجامع المانع في هذا التعريف لما رأيته كذلك ، لكن إذا تجرَّدت من هذه النظرة ، فهل ترى أن علوم القرآن قد اتضحت لك أم لا ؟

الذي يبدو ـــ والله أعلم ـــ أنَّ هذا التعريف قد وضَّح المراد بعلوم القرآن، وذلك لسلوكه التمثيل لبعض مفردات هذا العلم التي يستعان بها على معرفة غيرها، فإذا كان ذلك كذلك فإن مثل هذا التعريف الذي يقوم على بيان أمثلة للعلم معتبرٌ في التعريف ؛ لأنَّ المراد بالتعريف معرفة جنس العلم عن غيره .

ولو قيل معرفة العالي والنازل ، والمتواتر والآحاد،والصحيح والشاذ من أي العلوم ؟ لكان الجواب : من علم الحديث .

---

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم ، أ.د. فهد الرومي ، ط : ٧ .

ولو قيل : معرفة أن الأمر يقتضي الوجوب ، وأن النهي يقتضي الفساد ، وأن الأحكام التكليفية خمسة : الفرض والواجب والمندوب والمكروه والمباح ، وأن الأخبار لا تُنسخ ، من أي العلوم ؟ لكان الجواب : من علم أصول الفقه .

فأنت تتعرف على العلم بمعرفة أفراده ، وهذا كافٍ في التعريف الذي يراد به تعريف المعرَّف .

والحرص على إيراد التعريف الجامع المانع إنما هو من آثار علم المنطق ؛ ومتى تبين بالتعريف المُمَثِّل للعلم ببعض أمثلته كفى وأغنى ، وإن كان الوصول إلى التعريف الأمثل مطلوبًا ، لكن لا يعاب على تعريفات المعاصرين أنها غير جامعة مانعة ما دام أنه لا يمكن الوصول إلى هذا النوع من الحدِّ في التعريف ، وما دام أنه يمكن أن يوصل إلى معرفة ماهيته بما عرَّفوه به .

ومما يحسن التنبيه عليه في هذا المقام هو أنَّ إدخال بعض العلوم في علوم القرآن قد لا يتبين خروجه عن علوم القرآن من خلال التعريف، بل يتبين بنقده مباشرة لبيان خروجه عنها ، وهذا لا يخلُّ بطريقة التعريف المذكورة سابقًا .

نظائر مصطلح علوم القرآن :

تأتي إضافة علم إلى لفظ القرآن ، فيتكون منها مصطلح (علوم القرآن)، لكن قد تأتي إضافة لفظ (علم) إلى غير هذا اللفظِ بذاته ، لكنها تدلُّ عليه .

ومن هذه الإضافات : (علم القرآن) ، (علوم التنْزيل) ،(علم التنْزيل)، (علوم الكتاب)، (علم الكتاب)، وقد يرد في عناوين الكتب، أو في كلام العلماء مصطلحاتٌ أخرى ترجع إلى معنى هذا المصطلح (١)، لكن الذي استأثر بهذا العلم

---

(١) مثل ما فعله البلقيني في عنوان كتابه (مواقع العلوم من مواقع النجوم) ، ويظهر أنه قد أخذ العنوان من قوله تعالى : ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة : ٧٥] ، على أحد القولين في المراد بالنجوم ، وهي نجوم القرآن التي تنْزل مرة بعد مرة .

من بينها هو مصطلح (علوم القرآن) .

وسيأتي في تدوين هذا العلم الإشارة إلى بعض الكتب التي تحمل شيئًا من هذه العناوين .

مصطلح علوم القرآن في السنة وآثار السلف :

وهناك جملة من الآثار التي يرد فيها هذا المصطلح المضاف (علوم القرآن) ولا يلزم أن يكون المراد به جملة العلوم الاصطلاحية التي ظهرت عند المتأخرين في كتبهم ، لكن يمكن القول بأن جملة من العلوم الناشئة منه تدخل فيه بناءً على تعميم الإضافة في (علم القرآن) ، وما شابهه ، وعدم وجود ما يدل على تخصيصها.

ومن الأمثلة التي ورد فيها إشارة إلى هذا المصطلح المضاف ما يأتي:

١- دعاء الرسول ﷺ لابن عمِّه ابن عباس ، قال: (اللهم علِّمه الكتاب)[١]، وهذا يشمل جملة العلوم المتعلقة بالقرآن ، من قراءته ، وحفظه ، وتفسيره ، ومعرفة نزوله وأحكامه ، وناسخه ومنسوخه ، وغير ذلك من علومه .

وفي رواية عند الإمام أحمد : (اللهم فقه في الدين ، وعلِّمه التَّأويل)[٢]؛ والمرادُ به علم التفسيرِ الذي هو أجلُّ أنواع علومِ القرآنِ وأعظمها ، ولا تخلو تفاسير السلف من ذكر جملة من أنواع علوم القرآن ؛كعلم الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني ، والعام والخاص ، وغيرها .

٢ - قوله ﷺ :(خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه) [٣]، وهذا يشملُ جُملةَ

---

[١] أخرجه جمع من الأئمة ، منهم البخاري ، رقم الحديث ٦٨٤٢ .

[٢] مسند الإمام أحمد (١ : ٣١٤) .

[٣] رواه البخاري في صحيحة ، رقم الحديث ٤٧٣٩ .

أنواعِ علومِ القرآنِ من قراءته وحفظه وتفسيره وغيرِها ؛ لأنَّه خبر مطلقٌ غير محدَّدٍ بنوعٍ من أنواع تعلُّمِ القرآنِ وتعليمه .

ويشير إلى ذلك ما رواه أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن : عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل) (١).

وهذا يشمل أنواع العلم بالقرآنِ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت : ٧٢٨) : (... فإن أصحاب رسول الله ﷺ تلقوا عنه ما أمره الله بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعا، كما قال أبو عبدالرحمن السلمي ــ وهو الذي روى عن عثمان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ، كما رواه البخاري في صحيحه ، وكان يقرئ القرآن أربعين سنة ــ قال : (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا) ، ولهذا دخل في معنى قوله ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه) **تعليم حروفه ومعانيه جميعًا** ، بل تَعَلُّمُ معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه ، وذلك هو الذي يزيد الإيمان ، كما قال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما : (تعلمنا الإيمان ، ثم تعلمنا القرآن ، فازددنا إيمانًا ، وأنتم تتعلمون القرآن، ثُمَّ تتعلَّمون الإيمان ...) (٢).

٣– في تفسير قوله تعالى: ﴿ **يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ**

---

(١) رواه الطبري في تفسير ، تفسير الطبري ، تحقيق : شاكر (١ : ٨٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٣ : ٤٠٢ ــ ٤٠٣) .

فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة : ٢٦٩]، قال البغوي (ت : ٥١٦) :(وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: علم القرآن: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره ،وحلاله وحرامه، وأمثاله)⁽¹⁾.

وهذا المثال شبيهٌ بمصطلحِ علوم القرآنِ الذي استقرَّ بعدَ عهدِ السلفِ .

٤ – قال ابن أبي شيبة : (حدثنا أبو أسامة قال ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي قالوا : أَخبِرْنا عن عبد الله .قال : علم القرآن والسنة، ثم انتهى ، وكفى بذلك علمًا) ⁽²⁾.

٥– وأخرج البيهقي (ت : ٤٥٨) في شعب الإيمان عن الحسن (ت : ١١٠) قال : (أنزل الله مائة وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة منها : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ثم أودع علومَ التوارة والإنجيل والزبور الفرقان ، ثم أودعَ علومَ القرآن المُفصَّلَ ، ثم أودع المُفصَّلَ فاتحةَ الكتاب ، فمن عَلِمَ تفسيرَها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنْزلة) ⁽³⁾.

وهذا المثال يظهر منه أنَّ المرادَ بعلومِ القرآنِ أعمُّ من المرادِ به في مصطلحِ المتأخرينَ، فهو يشمل على كلِّ المعلومات التي يشملها القرآن ، وهي من صميمِه، فكلُّ معلومةٍ حواها فهي من علومِه، والله أعلمُ بمرادِ الحسن (ت : ١١٠) من ذلك .

٦ – وقال الذهبي (ت : ٧٤٨) : (قال عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت : سمعت الشعبي ، وقيل له : إن إسماعيل السدي قد أعطي حظًا من علم القرآن ، فقال إن : إسماعيل قد أعطي حظًا من الجهل بالقرآن) .

---

(١) معالم التنْزيل ، للبغوي ، تحقيق : خالد العك ومروان سوار (١ : ٢٥٦) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦ : ٣٨٥) ، وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (١ : ١٢٩) .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٢ : ٤٥٠) ، وقد نقله السيوطي عنه في الدر المنثور (١ : ١٦) .

قلت(١) : ما أحد إلا وما جهل من علم القرآن أكثر مما علم ، وقد قال إسماعيل بن أبي خالد : كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي رحمهما الله) (٢).

٧ – وعن الأصمعي (ت : ٢١٥) قال : (قال لي أبو عمرو بن العلاء : لو تهيأ أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلت ، ولقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها ، ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت حرف كذا وذكر حروفا) (٣).

٨ – وعن عبد الرزاق (ت : ٢١١) قال :(سمعت سفيان يقول : سلوني عن علم القرآن والمناسك ، فإني عالم بهما) (٤).

وبعد ، فهذه بعض الأمثلة الواردة عنهم في هذا المصطلح ، وهي تبيِّن أنه متداولٌ بينهم ، وأنه مما يتعلق بالقرآن مباشرة ، خصوصًا حفظه وإقراؤه ، وتفسيره .

التدوين في علوم القرآن :

لقد طغى جانب التلقي على أخذ العلم في عهد الرسول ﷺ ، وكذا في عهد أصحابه ، ثمَّ بدأ التدوين(٥) ينمو شيئًا فشيئًا في عهد التابعين،ثمَّ في عهد أتباعهم .

وفي هذه العهود لم يُذكر تدوينٌ باسم مصطلحِ علوم القرآن ، وترجع الكتابة في هذا العلم إلى عصر متأخر عن نزوله ، لكنه كان علمًا منقولاً عن السلف ، وهم به أعلم وأدرى ، خصوصًا الصحابة الذي شاهدوا التنْزيل وعاصروه ، وأدركوا من

---

(١) القائل هو الذهبي .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥ : ٢٦٥) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٦ : ٤٠٨) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ : ٢٤٧) .

(٥) بدأ التدوين في عهد الرسول ﷺ ، ومن أعظم ما دُوِّنَ كتاب الله سبحانه ، ثمَّ إنهم كانت لهم تدويناتٌ لبعض سنة الرسول ﷺ ، وإنما كان أكثر في عهد التابعين ، ثم في من جاء بعدهم ، وهكذا .

أماراته ما لا يمكن أن يدركه من لم يشاهد .

أمَّا التدوينُ في شيءٍ من علومِه فقد كان موجودًا في عهد التابعين وأتباعِ التابعين، وقد كان النصيبُ الأكبرُ **لعلمِ التفسيرِ** الذي كان أكثرَ أنواعِ علومِ القرآنِ تدوينًا ، ولا يخفى على من يطَّلع على تفاسيرهم أنها تشتمل على جملة من أنواع علوم القرآن التي أبرزتها تقسيمات العلماء اللاحقين لهم ؛ كالمكي والمدني ، وأسباب النُّزول، وقصص القرآن ، ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ، وغير ذلك .

ومن نسخ التفسير التي كُتبت في عهدهم:

١–سعيدُ بنُ جبيرٍ (ت:٩٤) الذي كتبَ جملةً منَ التَّفسيرِ لعبدِ الملكِ بنِ مروانَ (ت:٨٦)(١).

٢– وعن وِقاءِ بنِ إياس(٢)، قال: (رأيتُ عَزْرَةَ (٣) يختلفُ إلى سعيدِ بنِ

---

(١) قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦ : ٣٣٢) : « سئل أبي عن عطاء بن دينار ، فقال هو صالح الحديث ، إلاَّ أن التفسير أخذه من الديوان ، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن ، فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير إليه ، فوجده عطاء بن دينار في الديوان ، فأرسله عن سعيد بن جبير » .

وفيه عن أحمد بن صالح : « عطاء بن دينار هو من ثقات أهل مصر ، وتفسيره عن سعيد بن جبير صحيفة ، وليس له دلالة على أنه سمع من سعيد بن جبير » .

(٢) وِقاء بن إياس الأسدي، أبو يزيد الكوفي، روى عن سعيد بن جبير ومجاهد ، وغيرهما، وهو لين الحديث. ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، تحقيق بشار معروف (٧: ٤٥٩)، وتقريب التهذيب (ص: ١٠٣٦).

(٣) عَزْرَةُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بن زرارة ، الخزاعي ، الكوفي ، الأعور ، روى عن جابر بن زيد وسعيد بن جبير ، وروى عنه قتادة ووِقاء ، وغيرهما ، وهو ثقة . ينظر : تهذيب الكمال ، للمزي ، تحقيق بشار معروف (٥ : ١٦٣) ، وتقريب التهذيب (ص : ٦٧٦) .

جبيرٍ، ومعه التَّفسيرُ في كتابٍ، ومعه الدَّواةُ يُغَيِّرُ) (١) .

٣- نسخة مجاهد بنُ جبرٍ (ت : ١٠٤) التي كتب فيها تفسير شيخِه عبد الله بنِ عباسٍ (ت : ٦٨)(٢) .

٤- وأملى مجاهدٌ (ت : ١٠٤) التَّفسيرَ على القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ (ت: ١١٥)(٣) فكتبه، وقدْ أُخِذَ تفسيرُ مجاهدٍ (ت : ١٠٤) من إملائه للقاسمِ (ت : ١١٥)(٤) .

٥- وكتب ابن أبي نجيح تفسير مجاهد ، ونُقل عنه في كثير من مصادر التفسير، وروايته من أكثر الروايات عن مجاهد .

٦- وأملى الحسنُ البصريُّ (ت : ١١٠) التَّفسيرَ على تلاميذِهِ ، فكتبوه (٥).

---

(١) المعرفة والتاريخ ، للفسوي ، تحقيق : أكرم ضياء العمري (٣ : ٢١٢ ـــ ٢١٣) ، وطبقات ابن سعد (٦ : ٢٦٦) .

(٢) عن مجاهدٍ ، قال : « عرضتُ المصحفَ على ابنِ عباسٍ ثلاثَ عرضاتٍ ، من فاتحةِ الكتابِ إلى خاتمتِه ، أوقفُه عند كل آية ، وأسألُه عنها » . تفسير الطبري ، تحقيق شاكر (١ : ٩٠) .

وقال ابن أبي مليكة : « رأيتُ مجاهداً يسألُ ابنَ عباسٍ عنِ تفسيرِ القرآنِ ، ومعه ألواحُه ، فيقولُ له ابنُ عباسٍ : اكتبْ ، قال:حتى سألَه عن التَّفسيرِ كُلِّه » . تفسير الطبري،تحقيق شاكر (١: ٩٠) .

(٣) القاسم بن أبي بَزَّةَ المكي ، القارئ ، مولى عبد الله بن السائب ، روى عن سعيد بن جبير ومجاهد وغيرهما ، وعنه شبل بن عباد المكي وحجاج بن أرطاة وغيرهما ، كان ثقة ، مات سنة (١١٥) ، وقيل غيرها . ينظر : تهذيب الكمال (٦ : ٦٢) ، وتقريب التهذيب (ص : ٧٩٠) .

(٤) قال سفيان بن عيينة : « لم يسمعه [يعني : التفسير] أحد من مجاهد ، إلاَّ القاسم بن أبي بزة أملاه عليه ، وأخذ كتابه الحكمُ ، وليثٌ ، وابنُ أبي نجيح » . المعرفة والتاريخ ، للفسوي (٢: ١٥٤) والثقات ، لابن حبان ، ط دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند (٧ : ٣٣١) ، وزاد ممن أخذوه : ابن جريج ، وابن عيينة .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، ط : دار الفكر (١ : ٨٩) .

٧– وكتب عطية العوفي (ت : ١١١) نسخة يرويها عن ابن عباس (ت: ٦٨). وقد تناقلها عن عطية (ت : ١١١) بيت العوفيين ، وهي سلسلة ضعيفة الإسناد، لكنهم يروون كتابًا ، فيرتقي بهذا حال النسخة ؛ لأنها لا تعتمد على الحفظ .

٨– وكتب السُّدي صحيفة في التفسير يرويها عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة ، وقد رواها عنه أسباط بن نصر .

٩– وكتبَ عليُّ بنُ أبي طلحةَ الوَالِبيُّ (ت : ١٤٣)(١) صحيفتَهُ المشهورةَ التي فيها تفسيرُ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ (ت : ٦٨)(٢) .

١٠– وكتبَ سعيدُ بنُ أبي عَرُوبَةَ (ت : ١٥٦)(٣) تفسيرَ قتادةَ بنِ دِعَامَةَ السَّدُوسِيِّ (ت : ١١٧) (٤) .

---

(١) علي بن أبي طلحة ، واسمه سالم ، بن المخارق الهاشمي ، مولى العباس بن عبد المطلب روى عن مجاهد وغيره ، وقيل : أخذ تفسير ابن عباس عنه ، وروى عنه معاوية بن صالح الحضرمي وغيره ، صدوق قد يخطئ ، وله في التفسير الصحيفة المشهورة التي أرسلها عن ابن عباس ، توفي سنة (١٤٣). ينظر : تهذيب الكمال (٥ : ٢٦٢) ، وتقريب التهذيب (ص : ٦٩٨) .

(٢) هي الصحيفة المشهورة عن علي بن أبي طلحة ، التي قال الإمام احمد فيها : « بمصرَ كتابُ التأويلِ عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، لو جاء رجلٌ إلى مصرَ ، فكتبه ، ثم انصرفَ به ، ما كانت رحلته عندي ذهبتْ باطلاً » . الناسخ والمنسوخ ، للنحاس ، تحقيق : د . سليمان اللاحم (١ : ٤٦٢) .

(٣) سعيد بن أبي عروبة ، واسمه مِهران ، أبو النَّضْر البصري ، روى عن أيوب السختياني وقتادة وغيرهما ، وعنه : يزيد بن هارون ويحيى بن سلام وغيرهما ، ثقة حافظ ، من أثبت الناس في قتادة ، قال أبو حاتم : « سمعت أحمد بن حنبل يقول : لم يكن لسعيد بن أبي عروبة كتاب ، إنما كان يحفظ ذلك كله ، وزعموا أن سعيداً قال : لم أكتب إلاَّ تفسيرَ قتادة ، وذلك أنَّ أبا معشر كتب إليَّ أنْ أكتبه » . توفي سعيد بن أبي عروبةَ سنة (١٥٦) . ينظر : تهذيب الكمال (٣ : ١٨٥) ، وتقريب التهذيب (ص : ٣٨٤) .

(٤) قال أبو يعقوب الفسوي : « حدثنا يوسف بن سلمة ، عن أحمد ، ثنا قريش بن أنس ، قال : حلف لي سعيد بن أبي عروبة أنه ما كتب عن قتادة شيئاً قط ، إلاَّ أن أبا معشر [زياد بن كليب=

١١- وألَّفَ عبدُ الملكِ بنُ جُرَيجٍ المكيُّ (ت : ١٥٠) كتاباً في التَّفسيرِ(١) .

١٢- وألَّفَ مقاتلُ بنُ سليمانَ (ت : ١٥٠) كتاباً في التَّفسيرِ(٢) .

١٣- وألَّفَ سفيانُ الثَّوريُّ (ت : ١٦١) كتاباً في التَّفسيرِ(٣) .

١٤- وألَّفَ وكيعُ بنُ الجَرَّاحِ (ت : ١٩٧) كتاباً في التَّفسيرِ(٤) .

١٥- وألَّفَ يحيى بنُ سلامٍ البصريُّ (ت : ٢٠٠) كتاباً في التَّفسيرِ(٥) .

وصحف التفسير من الموضوعات التي تحتاج إلى بحث مفصَّلٍ ، وليس فيها ــ فيما أعلم ــ ما يُغني ، ومن أراد مفاتحها فليطَّلع على مقدمة المفسِّر الثعلبي (ت : ٤٢٨) لتفسيره (الكشف والبيان) ، ومقدمة ابن حجر (ت : ٨٥٢) لكتابه (العجاب في بيان الأسباب) ، ففيهما بعض هذه النسخ المروية عن السلف .

ويلاحظ أنَّ بعضَها يتفرع كتفرُّع أغصان الشجرة ، فقد ينسب التفسيرُ إلى أحد المفسرين ، ثمَّ يُنسب تفسيره إلى عدد ممن كتبه عنه ، ومرجعه في النهاية إلى مفسرٍ واحدٍ؛ كتفسير السُّدي (ت : ١٢٨) ، فالتفسير الذي يروى عنه بواسطة

=التميمي] كتب إليَّ أن اكتب له تفسير قتادة » . المعرفة والتاريخ ، للفسوي (٢ : ٢٨٥) ، وينظر: الجرح والتعديل (٤ : ٦٥) .

(١) ينظر : تاريخ بغداد (٨ : ٢٣٧) .

(٢) لتفسيره عدَّة مخطوطات ، ينظر : الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط / علوم القرآن / مخطوطات التفسير وعلومه (١ : ١٩) ، وقد طُبِعَ بتحقيق عبد الله شحاته ، ثم طُبِع بدار الكتب العلمية ، تحقيق : أحمد فريد .

(٣) هذا التَّفسيرُ من روايةِ أبي حذيفة النهدي عن سفيان ، وقد طُبع بتحقيق : امتياز علي عرشي .

(٤) قال إبراهيم الحربي : « لما قرأ وكيع التفسير ، قال للناس : خذوه ، فليس فيه عن الكلبي ولا ورقاء شيء » . تهذيب التهذيب (١١ : ١١٤) .

(٥) لهذا التفسير نسخ خطية ، ينظر : الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط / علوم القرآن / مخطوطات التفسير وعلومه (١ : ٢١) ، وقد طُبِع مؤخَّرًا جزء منه ، تحقيق : هند شلبي .

أسباط بن نصر الهمْداني (ت : ١٧٠) قد يُنسبُ إلى أسباط (ت : ١٧٠) ، فيقال: تفسير أسباط (ت : ١٧٠) ،وإنما التفسير لمن كتبه،وهو السُّدِّيُّ (ت : ١٢٨) . وبحث هذا ، ومعرفة من نسخ هذه التفاسير ، ولو تشجَّرت = مفيدٌ في معرفة طرق التفسير .

هذا، ولقد كان لبعض أنواع علوم القرآن نصيب من التدوين في عهد السلف، ومن تلك العلوم: الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والوجوه والنظائر، ووقوف القرآن، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن وإعرابه التي هي من مشاركات أهل العربية.

وسأذكر هنا بعض أمثلةٍ من أنواع التصنيف التي كتبت مستقلة في بعض العلوم المتعلقة بالقرآن ، فمنها :

١- كتاب **المقطوع والموصول** ، لعبد الله بن عامر اليحصبي (ت : ١١٨) .

٢- كتاب **الناسخ والمنسوخ** الذي يرويه همام بن يحي (ت : ١٦٣) عن قتادة ابن دعامة السدوسي (ت : ١١٧) (١).

٣- **تنْزيل القرآن بمكة والمدينة** ، لمحمد بن شهاب الزهري (ت : ١٢٤) (٢).

٤- كتاب **الناسخ والمنسوخ** ، لمحمد بن شهاب الزهري (ت : ١٢٤) (٣).

٥- **الوجوه والنظائر** لمقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠) (٤).

---

(١) طبع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن ، نشرته دار الرسالة ، وقد ألف في الناسخ والمنسوخ جماعة ، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، وكتابه مطبوع بتحقيق الدكتور محمد المديفر .

(٢) طبع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن ، نشرته مؤسسة الرسالة . وراويه عن الزهري متروك ، وهو الوليد بن محمد الموقري ، ولعل روايته رواية كتاب ، فتحتمل من هذه الجهة.

(٣) طبع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن ، نشرته مؤسسة الرسالة . وراويه عن الزهري متروك ، وهو الوليد بن محمد الموقري ، ولعل روايته رواية كتاب ، فتحتمل من هذه الجهة .

(٤) طُبع بتحقيق د. عبد الله شحاته باسم : الأشباه والنظائر ، وقد ألَّف فيه هارون الأعور (ت : بعد : ١٧٠) ، وكتابه مطبوع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن ، وألَّف فيه الحسين بن واقد المروزي =

٦- **متشابه القرآن** ، لمقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠) (١).

٧- كتاب **وقف التمام**، لنافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ،أحد القراء السبعة (ت: ١٦٩) ، وقد يسمى كتاب الوقف أو كتاب الوقوف (٢) .

٨- **معاني القرآن** ، للإمام أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي النحوي المقرئ (ت : ١٨٣) (٣) .

= (ت : ١٥٩) ، ويحيى بن سلام (ت : ٢١٠) واسم كتابه تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه (التصاريف) ، وقد حققته الدكتورة هند شلبي ، ثمَّ توالى التأليف فيه بعد ذلك .

(١) ذكره ابن النديم ضمن من ألَّف في متشابه القرآن (ص : ٧٨) ، وقد ذكر تحت من ألَّف في متشابه القرآن من ألَّف في المتشابه على الحفَّاظ ، ومن ألَّف في الآيات المتشابهة التي يقع في فهمها إشكالٌ ، فهي تكون من قبيل علم المشكلِ ، وهذا النوع قد ألَّف فيه العلماء كقطرب (ت : ٢٠٦)، وابن قتيبة (ت : ٢٧٦) ، وغيرهم .

أما كتاب مقاتل بن سليمان فقد نقل منه الملطي في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ينظر : (ص : ٧٠) .

(٢) نقل منه كثيرًا النحاس في كتابه القطع والائتناف ، وقد ذكره جماعة ، منهم الهذلي في كتابه الكامل في القراءات الخمسين ، مخطوط : نسخة رواق المغاربة بالأزهر ، لوحة ٣٨أ . وقد ذكر جملة ممن ألف فيه ، فقال : « ... لأن ما من عالم إلا قد صنف في الوقف والابتداء ؛ كنافع ، ونصير ، والعباس بن الفضل الرازي ، وابن عيسى ، وأبي حاتم ، والأنباري ، والزعفراني ، والأخفش ، وابن مهران ، والعراقي ، وأنا في غير هذا الكتاب ... » .

وقد أُلِّف في هذا العلم كثيرًا ، وقد قام بعض المحققين بإحصاءات لما كتب فيه ، ينظر على سبيل المثال : ما كتبه الدكتور يوسف المرعشلي في تحقيقه للمكتفى في الوقف والابتداء ، وما كتبه الدكتور محمد العيدي في مقدمته لتحقيق كتاب علل الوقوف للسجاوندي .

(٣) هو أحد مصادر الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ، ينظر في نسخة المحمودية بمكتبة المدينة المنورة العامة (لوحة : ١١) ، وقد نصَّ عليه الأزهري في تهذيب اللغة (١ : ١٦) ، (٦ : ٤٢٣) .

وقد كتب في معاني القرآن كثير من اللغويين ، ومن كتبهم التي اعتمدها الثعلبي في مقدمة تفسيره : معاني القرآن للفراء ، وللكسائي ، ولأبي عبيد ، وللزجاج ، وهو يرويها بالإسناد إلى أصحابها .

٩- متشابه القرآن ، للإمام أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي النحوي المقرئ (ت : ١٨٣) [١] .

١٠- غريب القرآن لمؤرج السدوسي اللغوي البصري (ت : ١٩٥) [٢] .

١١- مشكل القرآن ، لمحمد بن المستنير ، المعروف بقطرب ، اللغوي البصري (ت :٢٠٦) [٣] .

١٢- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى الأخباري اللغوي البصري (ت : ٢١٠) [٤] .

١٣- فضائل القرآن ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت : ٢٢٤) [٥].

١٤- أسباب النُّزول ، لعلي بن المديني (ت : ٢٣٤) .

---

(١) قد طبع بتحقيق الدكتور صبيح التميمي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس .

(٢) هو أحد مصادر الثعلبي التي رواها بالإسناد في مقدمة تفسيره الكشف والبيان (لوحة ١١) ، وقد ذكر جملة منها ، وهي غريب القرآن للأخفش ، وغريب القرآن للنضر بن شميل ، وغريب القرآن لابن قتيبة ، وهذا العلم مما اعتنى به اللغويون وألفوا فيه .

(٣) هو أحد مصادر الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ، وقد رواه بسنده إلى قطرب ، مخطوط الكشف والبيان ، نسخة المحمودية بمكتبة المدينة المنورة (لوحة ١٢) .

(٤) طبع بتحقيق فؤاد سزكين .

(٥) طبع بتحقيق وهبي سليمان غاوجي ، نشرته دار الكتب العلمية ببيروت ، ثم طبع بتحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي ، نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب .

وقد أُلِّف في هذا العلم جماعة ، ومن الكتب المطبوعة فيه كتاب ابن الضريس (ت : ٢٩٤) بتحقيق : مسفر بن سعيد الغامدي نشرته دار حافظ للنشر والتوزيع ، وكذا حققته غزوة بدير ، نشرته دار الفكر بسوريا .

وكتاب الفريابي (ت : ٣٠١) بتحقيق يوسف عثمان فضل الله جبريل ، نشرته مكتبة الرشد .

وكتاب النسائي (ت : ٣٠٣) بتحقيق فاروق حمادة ، نشرته دار الثقافة بالدار البيضاء ، ونشرته مؤسسة الكتب الثقافية ، بتحقيق سمير الخولي ، ويوجد في المطبوع غيرها .

١٥- كتاب قراءات النبي ﷺ ، للمقرئ أبي عمر حفص بن عمر الدوري (ت : ٢٤٦) ⁽١⁾ .

وهذه القائمة التي ذكرتها غيض من فيض⁽٢⁾ ، وقد قصدت أن أشير إلى بعض العلوم التي كُتِبَ فيها ، وليس المقصود منها الاستقصاء .

والكتب التي كُتِبَت في علم من علوم القرآن مفرداً هي أيضًا مما يحتاج إلى رصد وتحليل ، ولا يوجد في ذلك كتابة مستقلة فيما أعلم ، والله الموفق .

تدوين جملة من علوم القرآن في كتاب مستقل :

لو كان المعتبر في دراسة علم من العلوم المصطلح بذاته دون النظر إلى ما يحويه الكتاب،فإنَّك ستدخل بعض الكتب التي يوجد في عنوانها مصطلح (علم القرآن) أو (علوم القرآن) أو أحد نظائرها ،وهي ليست محتوية على تقسيمات هذا العلم، بل هي كتب تفسير ، تفسِّر القرآن آية آية ، ولا تخلو من ذكر جملة من مسائل علوم القرآن ، لكن ذكرها في هذه الكتب من باب التفسير وليس لأنها من علوم القرآن فحسب ، كما هي العادة في كتب التفسير .

ومن أمثلة كتب التفسير التي جاء في عنوانها مصطلح علوم القرآن = كتاب (**الجامع لعلم القرآن**) ؛ لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي

---

(١) مطبوع بتحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين .

(٢) ينظر على سبيل المثال : الفهرست لابن النديم ، تحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان (ص : ٦٩ ـــ ٨٣) ففيها مجموعة من علوم القرآن التي كُتِبَ فيها ، واستدراكات على تاريخ التراث العربي / قسم التفسير وعلوم القرآن ، للأستاذ الدكتور حكمت بشير ياسين ، وغيرها .

(ت : ٣٨٤) [1]، وهذا الكتاب من كتب التفسير ، يفسِّر القرآن آية آية ، وهو كتاب يتميَّز بالتنظيم ،والاعتماد على أسلوب السؤال والجواب ، وختم الآية بما تتضمنه من أحكام، وهو مصدر من مصادر المعتزلة ، فمن أراد الاطلاع على قولهم من كتبهم ، فإنه سيجد في هذا الكتاب مسائلهم ، والمقصود أنَّ هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من كتب علوم القرآن التي تذكر مباحثه مبحثًا مبحثًا ، من نزوله ، وناسخه ومنسوخه ، ووقوفه ، وأحكامه ... الخ [2].

وإذا كان المعتبر بذلك أن يكون الكتاب محتويًا على جملة من أنواع علوم القرآن وإن لم يكن في عنوانه مصطلح (علم القرآن) أو (علوم القرآن) فإنَّ أوَّل كتاب يمكن أن يكون سابقًا في التأليف هو كتاب (فهم القرآن) للحارث المحاسبي (ت : ٢٤٣) ؛ لأنه طرح فيه جملة من مباحث علوم القرآن؛ منها: فضائل القرآن،

---

[1] لهذا الكتاب مختصر ، ذكره القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١ : ٥٩) ، قال : « رأيت هذا القول أولاً في نكت علم القرآن تلخيص محمد بن يوسف ابن بندار من كتاب أبي الحسن علي بن عيسى البغدادي النحوي » .

[2] ومن الأمثلة في عناوين الكتب ما يأتي :

١- كتاب **التسهيل لعلوم التنزيل** ، لمحمد بن احمد بن جزي الكلبي (ت : ٧٤١) ، وهو من كتب التفسير النفيسة ، وهو من الكتب المتوسطة في التفسير ، ويعمد إلى الترجيح بين الأقوال ، لكن دون أن يذكر مستند ترجيحه في الغالب .

٢- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** ، لأحمد بن يوسف ، المعروف بالسمين الحلبي (ت : ٧٥٦) ، وهو كتاب حافل وغزير بالمعلومات ، وجلُّ الكتاب في إعراب القرآن ، وتوجيه القراءات، وفيه مباحث تفسيرية وبلاغية كثيرة .

٣- **اللباب في علوم الكتاب** ، لعمر بن علي ، المعروف بابن عادل (ت : بعد ٨٨٠) ،وكتابه كبير جدًّا جمع فيه الأقوال ، ومن أهم مصادره تفسير الرازي ، وقد طُبِع أخيرًا في عشرين مجلدًا .

وفضائل القراء، وفقه القرآن، والمحكم والمتشابه، والنسخ – وهو أطولها –، والتقديم والتأخير ، والإضمار ، والحروف الزوائد ، والمفصَّل والموصول (١).

وهو بجمعه هذه المباحث في كتاب مستقلٍّ يُعَدُّ أول من جمع بعض أنواع علوم القرآن في كتاب مستقلٍّ – وإن لم يسمِّه بالمصطلح الدارج(٢) – لأنَّ المراد ذكر تاريخ هذا العلم ، وكيف تدرج ، فإذا كانت تُذكر الكتب المفردةُ في علم من علومه ، فهذا الكتاب من باب أولى أن يذكر ، وإن لم يكن عنوانه يحمل هذا المصطلح ، فالعبرة بما يحويه لا بما اصطلح عليه من التسمية ، والله الموفق .

ولو أنك استقرأت ما دوَّنه العلماء في (علوم القرآن) ، لظهر لك الأتي :

---

(١) يعني : علم الوقف والابتداء .

(٢) يلاحظ أن كثيرًا من المعاصرين الذين كتبوا في علوم القرآن لم يشيروا إلى هذا الكتاب ، وأول من رأيته أشار إليه الدكتور فاروق حمادة في كتابه مدخل إلى علوم القرآن والتفسير (ص : ١٠ ـــ ١١)، قال : « من ألصق الكتب المتقدمة بهذا المعنى الاصطلاحي ، وأحراها أن تكون سابقة في الميدان حتى الآن ، كتاب الحارث بن أسد المحاسبي المتوفى (٢٤٣) ، وقد سمَّاه (فهم القرآن) ، قال في مقدمته ... وكل الموضوعات التي ذكرها في كتابه هي من صلب علوم القرآن ... » .

ثمَّ وجدت الدكتور حازم سعيد حيدر قد ذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور فاروق حمادة ، وأشار إلى أوليته في التدوين في علوم القرآن ، فقال ـــ بعد تفصيله لموضوعات كتاب فهم القرآن ـــ : «... وهذه الأقسام السبعة كما ترى من صميم علوم القرآن ، والكتاب يدخل ضمن مصطلح علوم القرآن بالمعنى التدويني ، فهو يعد أول كتاب صنف في هذا العلم ، بحسب اطلاعنا وحكمنا على ما بين أيدينا وفي نهاية هذا المبحث أستطيع القول : إن الحارث المحاسبي أول من دون في علوم القرآن بصورة مستقلة من حيث المحتوى والمضمون دون العنوان ، فيكون ظهور التأليف في هذا العلم في القرن الثالث ، أما ظهور مصطلح علوم القرآن في العنوان والمحتوى فقد تأخر قليلا إلى أواخر القرن الرابع ومطالع الخامس وبدأ في مؤلف ابن حبيب النيسابوري (ت : ٤٠٦) التنبيه على فضل علوم القرآن ، وهذه النتيجة بناء على ما وصلنا إليه واطلعنا عليه ، وليست على وجه القطع واليقين » علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص : ٩٥) .

١- رسائل مفردة في نوع من أنواع علوم القرآن ؛ ككتب الناسخ والمنسوخ.

٢- كتب جامعة لأنواع علوم القرآن ، وقد ذكرت في عناوينها هذا المصطلح، وهذه الكتب قد ظهرت متأخرة ؛ عند الزركشي (ت:٧٩٤) في كتابه (**البرهان في علوم القرآن**) ، والسيوطي (ت : ٩١١) في كتابه (**الإتقان في علوم القرآن**) .

٣- كتب جمعت بعض أنواع علوم القرآن ، ولكن لا يوجد في عنوانها مصطلح علوم القرآن أو ما يرادفه ، مثل كتاب (**فهم القرآن**) للحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣) ، وكتاب (**جمال القراء وكمال الإقراء**) للسخاوي (ت : ٦٤٣).

٤- كتب قصدت نوعًا من أنواع علوم القرآن ، لكن المؤلف أضاف إليها مقصدًا آخر ، وهو استيعاب بعض أنواع علوم القرآن ، ومن ذلك ما ذكره أبو داود سليمان بن نجاح (ت : ٤٩٦) في كتابه (التبيين لهجاء مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ) ،وعنوان الكتاب ــ كما هو ظاهر ــ في رسم المصاحف، لكنه ذكر بعض أنواع علوم القرآن .

قال في مقدمة كتابه (مختصر التبيين لهجاء التنْزيل): (... سألني سائلون من بلاد شتَّى أن أجرِّد لهم من كتابي المسمى بالتبيين لهجاء مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ المجتمع عليه وعلى سائر النسخ بالزيادة في بعضها والنقصان من بعضها ، وأن أنبه على ذلك كله ، وأذكر لهم في أول كل سورة إن كانت مكية أو مدنية ، وعدد كل سورة في أولها أيضًا ، دون سائر ما تضمنه الكتاب المذكور من الأصول والقراءات ، والمعنى والتفسير والشرح ، والإحكام ، والتبيين ،

والرد على الملحدين، والتقديم والتأخير ، والوقف التام والكافي والحسن، والناسخ والمنسوخ ، والغريب ، والمشكل ، والحجج والتعليل ...) (١).

٥- كتب قصدت الجمع بين التفسير وعلوم القرآن في آن واحدٍ جمعًا مقصودًا وهي على نوعين :

النوع الأول : من نصَّ على إدخال أنواع علوم القرآن أثناء تفسيره للآيات، فسار على تفسير السور والآيات كما هو الحال في التفاسير المعروفة ، لكنه قصد إلى أنواع من علوم القرآن فذكرها ، ومن ذلك كتاب (**البستان في علوم القرآن**) ، لأبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهيني الحموي (ت : ٧٣٨) ، حيث كتبه على التفسير ، وقصد إدخال جمع من علوم القرآن أثناء ذلك .

قال الحموي : (أما بعد : فهذا كتاب (البستان في علوم القرآن) ، قصدت فيه الاختصار مع البيان ، وجمع الفوائد مع الإتقان ، راجيًا به - لي ولمحصليه - الغفران ، والرحمة من الله والرضوان ، ويشتمل على أنواع من علوم الكتاب العزيز؛ المسمى بالفرقان :

النوع الأول : معرفة تفسير غريب اللفظ والمعنى، وأسباب النُّزول، والقصص، وما صحَّ من المنسوخ على ما ذهب إليه في ذلك كل من يُعتمد عليه.

---

(١) مختصر التبيين لهجاء التنْزيل، لأبي داود سليمان بن نجاح، تحقيق الدكتور أحمد شرشال(٢: ٣، ٤) وقد فعل أحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت : ٤٧٠) في كتابه (الإيضاح في القراءات) طريقة أخرى في ذكر علوم القرآن ، حيث جعل ذلك في مقدمة كتابه ، وقد قسم المقدمة إلى ثلاثة وخمسين بابًا ، وقد ضمَّن عددًا منها بأنواع من علوم القرآن ؛ كالأحرف السبعة ، والمكي والمدني ، والوقف والابتداء ، وجمع القرآن ، وغيرها .

النوع الثاني : معرفة المبهمات من الأسماء والأنساب، وضمائر الغيبة والخطاب، والعدد ، والمدد ، واختلاف الأقوال في ذلك ...

الثالث: معرفة قراءات الأئمة السبعة رحمة الله عليهم، ولكل إمام منهم راويان...

الرابع : معرفة الوقوف والموقوف عليه إن لم يتوقف فهمه على ما بعده وبالعكس ، فالوقف لازم إن اختلَّ المعنى بالوصل ، وتامٌّ إن لم يختل ، و لم يكن للثاني تعلق بالأول ...

الخامس : معرفة خط الإمام مصحف عثمان بن عفان ...

السادس : معرفة عدد آي كل سورة (العدد الكوفي) ، وكونها مكية أو مدنية أو مختلفًا فيها ، وذلك مذكور في أول كل سورة .

السابع : معرفة رؤوس الآيات وأخماسها وأعشارها ، والمختلف في كونه آية أو غير آية بين الكوفيين وغيرهم ...

الثامن : معرفة أجزائه الثلاثين وأخماسها وأنصافها وأنصاف أسداسها وأسباع القرآن وأرباع الأسباع ...) (١)، ثم شرع في تفسير الاستعاذة والبسملة والفاتحة حتى ختم كتابه بتفسير سورة بالناس .

ولا يعني أن هذه التفاسير تختلف في مادتها العلمية عن التفاسير السابقة ، لكن المقصود أن مؤلفيها قد رتبوها ترتيبًا متوافقًا مع أنواع علوم القرآن ، أو قصدوا ذكر جملة من علوم القرآن قصدًا مباشرًا ، وهذا مما لا يحسن إغفاله في نشأة علوم القرآن .

---

(١) البستان في علوم القرآن (مخطوط ، لوحة ١ أ ــ ب) .

النوع الثاني : من رتَّب كتابه على أنواعٍ من علوم القرآن ، وجعل التفسير نوعًا منها ، ولها أمثلة أذكرها لأهميتها في معرفة صور التدوين في هذا العلم وما حصل لها من تطور حتى وصلت إلى ما كتبه الزركشي (ت : ٧٩٤) ومن بعده :

١- كتاب (**الاستغناء في تفسير القرآن**) ، لمحمد بن علي بن أحمد ، المعروف بالأُدْفُوي (ت : ٣٨٨) .

وقد قال في مقدمة كتابه : (هذا كتاب أَلَّفناه يجمع ضروبًا من علوم القرآن ، من بين كلام غريب ، ومعنى مستغلق ،وإعراب مشكل ، وتفسير مروي، وقراءة مأثورة ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وأذكر فيه- إن شاء الله - ما بلغني من اختلاف الناس في القراءات ، وعدد الآي ، والوقف والتمام ، وأبين تصريف الكلمة واشتقاقها ــ إن علمت ذلك ــ وما فيه من حذفٍ لاختصارٍ، أو إطالةٍ لإفهامٍ وما فيه تقديم وتأخير .

وإذا مرَّ العامل من عوامل النحو ذكرته مع نظائره في باب أُفرده له ، وأذكر أين نزلت السورة بمكة أو بالمدينة، على قدر الطاقة، ومبلغ الرواية ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيًا، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسير شيء هو فيه مستغنيًا ...) (١).

وقد استفاد من هذا الكتاب تلميذه مكي (ت : ٤٣٧) ، وقال في مقدمة تفسيره المسمى بالهداية إلى بلوغ النهاية : (... جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب

---

(١) ينظر (ص : ٤٤٢) من رسالة ماجستير بعنوان (الأدفوي مفسرًا ، وتحقيق سورة الفاتحة) للباحث عبد الله بن عبد الغني كحيلان ، قدمها لقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام عام ١٤٠٥ .

شيخنا أبي بكر الأُدْفُوي رحمه الله ، وهو الكتاب المسمى بكتاب الاستغناء المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن) (١).

٢- كتاب (**البرهان في** (**علوم**) **تفسير القرآن**) ، لعلي بن إبراهيم بن سعيد، المعروف بالحوفي (ت : ٤٣٠) (٢).

٣- كتاب (**الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**) ، لمكي بن أبي طالب (ت : ٤٣٧) .

قال مكي (ت : ٤٣٧): (جمعت فيه علومًا كثيرة ، وفوائد عظيمة من تفسيرٍ

---

(١) تفسير سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير مكي ، تحقيق زارة صالح ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية ، جامعة سيدي محمد عبد الله (ص : ٩٠) .

(٢) قال ابن خير الإشبيلي (ت : ٥٧٥) في (فهرسة ما رواه عن شيوخه ص : ٢٣) : ((ذكر ما رويته عن شيوخي رحمهم الله من الدواوين المؤلفة في علوم القرآن)) .

وقد ذكر كثيرًا من كتب القراءات وما يتصل بها، وكتب التفسير وغيرها، ومما ذكر فيها(ص:٧١) ما يأتي : ((كتاب البرهان في علوم القرآن ، في مائة سفر ، لأبي الحسن الحوفي ...)) ونستفيد من هذا النقل فائدتين :

الأولى : النظر في أنواع علوم القرآن في الكتب التي ضمنها ابن خير فهرسة ما رواه في علوم القرآن ، فيظهر لنا مراده بعلوم القرآن ، وهو على ما استقر عليه المصطلح عندنا .

الثاني : أن الاختلاف في تسمية كتاب الحوفي (ت : ٤٣٠) لازالت قائمة تحتاج إلى تحرير ، فابن خير يروي الكتاب بسنده إلى المؤلف ، ويسميه بهذا الاسم ، لا باسم (البرهان في تفسير القرآن) كما جاء في بعض المصادر ، وقد قال ابن خير في آخر روايته لهذا الكتاب (ص : ٧١) : ((... قال شريح بن محمد : وحدثني به أيضًا ـــ إجازة ـــ الفقيه أبو محمد عبد الله بن إسماعيل بن محمد بن خزرج اللخمي رحمه الله ، قال أجازني أبو الحسن علي بن إبراهيم بن علي الحوفي المقرئ النحوي جميع روايته وأوضاعه بخط يده على يدي أبي صاحب الوردة في ربيع الآخر سنة ٤٢١)) .

وهذا يفيد في معرفة زمن تأليف كتاب البرهان ، وأنه متقدم على تاريخ هذه الإجازة .

تنبيه : ورد في مطبوعة فهرست ابن خير(الجوفي) بالجيم ، وهو تصحيف .

مأثورٍ أو معنى مفسَّرٍ ، أو حكمٍ مبينٍ ، أو ناسخٍ أو منسوخٍ ، أو شرحِ مشكلٍ ، أو بيان غريبٍ ، أو إظهار معنى خفيٍّ ، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله جلَّ ذكره ؛ من قراءةٍ غريبةٍ ، أو إعرابٍ غامضٍ أو اشتقاقٍ مشكلٍ، أو تصريفٍ خفيٍّ، أو تعليل نادر،أو تصرف فعل مسموع مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثر تعدادها، ويطول ذكرها ، جعلته بداية إلى بلوغ النهاية في كشف علم ما بلغ إليَّ من علم كتاب الله تعالى ذكره ، وما وقفت على فهمه ، ووصل إليَّ علمُه من ألفاظ العلماء ، ومذاكرات الفقهاء ، ومجالس القراء ، ورواية الثقات من أهل النقل والروايات ، ومباحثات أهل النظر والدراية) (١).

٤- كتاب (**التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنْزيل**)

لأحمد بن عمار ، المعروف بالمهدوي (ت : ٤٤٠).

قال : (وأنا مبتدئ إن شاء الله في نظم هذا المختصر الصغير ، مجتهد أن أجمع فيه جميع أغراض الجامع الكبير من الأحكام المجملة ، والآيات المنسوخة ، وأحكامها المهملة ، والقراءات المعهودة المستعملة ، والتفسير والغريب والمشكل والإعراب والمواعظ والمثال والآداب ، وما تعلق بذلك من سائر علوم التنزيل المحتملة للتأويل ، ويكون المحذوف من الأصل ما أنا ذاكره في هذا الفصل فأحذفه من الأحكام التي هي أصول الحلال والحرام أكثر تفريع المسائل المنثورة مما ليس بمنصوص في السورة ، وأقتصر من ذكر الاختلاف على الأقوال المشهورة ، وأذكر الناسخ والمنسوخ بكماله وأورده مختصرًا على أتم أحواله ، وأذكر القراءات السبع في الروايات التي اقتصر عليها أهل الأمصار ، سوى من لم يبلغ مبلغهم من الاشتهار إلا ما لا اختلاف فيه بين السبعة القراء ، فإني أذكره منسوبًا إلى بعض من روى عنه

---

(١) تفسير سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير مكي ، تحقيق زارة صالح (ص : ٨٩) .

القراء ليعرف من هذا الاختصار ما هو من القراءات المروية مما لم يُقرأ به قارئ ، وإن كان جائزًا في العربية ، وأذكر من مسائل الإعراب الخفية ما يحتاج إليه ، مما اختلف القراء فيه ، أو كان جائزًا في المقاييس العقلية ، فإذا أكملت السورة من هذا المختصر جمعت في آخره أصول القراءات واختصار التعليل فيها ، وأصول مواقف القراءة ومبادئها ؛ ليجمع ــ بعون الله وتوفيقه ــ هذا الاختصار ما لم تجمعه الدواوين الكبرى ، ولتكون أغراض الجامع مضمنة فيه، ومجملة في معانيه .

وأجعل ترتيب السور مفصلاً ، ليكون أقرب متناولاً ، فأقول : القول من أول سورة كذا إلى موضع كذا منها ، فأجمع من آيِهَا عشرين آية أو نحوها ، بقدر طول الآية وقصرها .

ثم أقول الأحكام والنسخ وأذكرهما .

ثم أقول التفسير فأذكره .

ثم أقول القراءات فأذكرها .

ثم أقول الإعراب فأذكره .

ثم أذكر الجزء الذي يليه حتى آتي على آخر الكتاب إن شاء الله على ما شرطته فيه، وأذكر في آخر كل سورة موضع نزولها ، واختلاف أهل الأمصار في عددها ، وأستغني عن تسمية رؤوس آيها ، وأبلغ غاية الجهد في التقريب والقصد ...) (١).

وهذه الأقسام التي ذكرتها (٣ ــ ٦) تشير إلى حاجة الباحثين إلى إعادة النظر في الحديث عن نشأة علوم القرآن والتدوين فيه .

---

(١) التحصيل (تحقيق سورتي الفاتحة والبقرة / ص : ٥، ٦) للباحث علي بن محمود بن سعيد هرموش ، رسالة مرقومة على الآلة الكاتبة ، بمكتبة قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

بعض المدونات التي تحمل مصطلح علوم القرآن :

وسأذكر لك بعض الكتب التي تحمل مصطلح علوم القرآن (١) ، ولأن هذا المقام من باب التفتيش لا التحري ، فإن العبرة هنا بما تحمله هذه الكتب من هذا العنوان ، ولا يلزم أن تكون هذه الكتب المذكورة من كتب هذا العلم ، ولكنها تُذكر هنا بسبب عنوانها حتى ينكشف أنها من كتب التفسير لا من كتب علوم القرآن .

ومن أمثلة هذه الكتب المذكور فيها هذا المصطلح :

١–كتاب **الرغيب في علم القرآن** لمحمد بن عمر الواقدي (ت : ٢٠٧) ، صاحب المغازي(٢).

٢– الحاوي في علوم القرآن ، لمحمد بن خلف المرزبان (ت : ٣٠٩) (٣).

٣– كتاب **الشامل في علم القرآن** ، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت : ٣٣٠ تقريبًا) ، ولم يتمه (٤).

٤– كتاب **الأنوار في علم القرآن** ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم المقرئ (ت : ٣٥٤) (٥).

---

(١) أغلب هذه المدونات لم يذكرها المعاصرون الذين ذكروا مدونات علوم القرآن التي تحمل هذا المصطلح .

(٢) كذا جاء اسمه في طبعة دار المعرفة للفهرست (ص: ١٤٤)، وفي طبعة دار قطري بن الفجاءة، تحقيق: ناهد عباس عثمان (ص: ١٩٥) باسم الترغيب في علم المغازي، والكتاب عنوانه مشكل في الطبعتين.

(٣) الفهرست ، تحقيق : ناهد عباس عثمان (ص : ١٧١) ، ومعجم الأدباء (٦ : ٢٦٤٦) .

(٤) الفهرست ، تحقيق ناهد عثمان (ص : ٢٨٧) .

(٥) الفهرست ، تحقيق : ناهد عباس عثمان (ص : ٦٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٦ : ١٠٧) ، وقد ذكر الثعلبي تحت كتب القراءات التي رواها بسنده عن مؤلفيها كتاب الأنوار ، ولم يزد على هذه التسمية ، وقد يكون هذا الكتاب في علم القراءات كما ذكره الثعلبي .

٥- **الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن** ، لأبي الفرج محمد بن أحمد الشنبوذي المقرئ (ت : ٣٨٧) (١).

٦- كتاب **الشافي في علم القرآن** ، ليونس بن محمد بن إبراهيم الوفراوندي النحوي (عاش في القرن الرابع) (٢) .

٧- **التّنبيه على فضل علوم القرآن** ، لأبي القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب (ت : ٤٠٦) (٣) .

٨- **الكافي في علم القرآن** ، لأبي محمد إسماعيل بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن السرخسي ثم الهروي القَرَّاب (ت : ٤١٤) ، جاء في ترجمته في سير أعلام النبلاء : (قال أبو عمرو بن الصلاح : رأيت كتاب أبي محمد القَرَّاب المسمى بالكافي في علم القرآن في عدة مجلدات،وهو كتاب ممتع مشتمل على علم

---

(١) معجم الأدباء (٦ : ٢٣٢٧) .

(٢) الفهرست ، ط : دار المعرفة (ص : ١٢٨) ، وفي معجم الأدباء ، لياقوت ، تحقيق : إحسان عباس نقلاً عن الفهرست (٦ : ٢٨٥٣) ، وقد جاء في طبعة قطري بن الفجاءة ، تحقيق : ناهد عباس عثمان (ص : ١٧١) باسم كتاب الشافي في علل النحو ، وهذا يحتاج إلى تحقيق الأمر في أيهما على صواب .

هذا ، و لم يذكر ابن النديم سنة وفاته ؛ لأنه ذكر ضمن مجموعة أعلام لم تُعرف أنسابهم وأخبارهم على استقصاء (ص : ١٦٦وما بعدها) ، وابن النديم عاش في القرن الرابع على الراجح ، وأنه توفي في حدود سنة ٣٨٠ ، ينظر مقدمة تحقيق الفهرست (ص : ٩ ـــ ١٠)

(٣) حققه محمد بن عبد الكريم الراضي ، مجلة المورد : م١٧ ، ع٤ ، سنة ١٤٠٨ / ١٩٨٨ (ص : ٣٠٥ ـــ ٣٢٢) ، وقد حققته الدكتورة نورة الورثان ، وجعلت العنوان (التنْزيل وترتيبه) ، وفي هذا الكتاب المطبوع إشكال من حيث إنه جزء من كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن ، أو إنه هو كل الكتاب وفي التسمية نظر ، وهذا يحتاج إلى تحرير .

كثير...) (١) .

٩- الكامل في علم القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت :٤٢٧) صاحب تفسير الكشف والبيان ، وفي ترجمة الواحدي (ت : ٤٦٨) لنفسه ذكر أنه قرأ هذا الكتاب على مؤلِّفه ؛ يعني شيخِه الثعلبي (ت : ٤٢٧)(٢) .

١٠- المحيط بعلم القرآن،لأحمد بن علي بن جعفرك البيهقي (ت : ٥٤٤) (٣).

١١- نظم في علوم القرآن ، جاء في ترجمة أحمد بن حسين بن حسن بن أرسلان الرملي (ت:٨٤٤) :(ونظم في علوم القرآن فصولاً تصل إلى ستين نوعًا) (٤).

١٢- الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم لعبدالوهاب بن أحمد الشعراني الصوفي (ت : ٩٧٣) .

قال في كشف الظنون : (... ادَّعى أنه ذكر فيه من علوم القرآن نحو ثلاثة آلاف علم ، ألَّفه فَرْقًا بين علامات المحققين والمتشبهين ، وفرغ في جمادى الآخرة سنة (٩٣٢) اثنتين وثلاثين وتسعمائة) (٥).

ويظهر أن هذا الكتاب في التَّصوف ، فالمؤلف من كبار الصوفية في عصره، وله فيها مؤلفات ، ولعله يريد بالعلوم مجموع المعلومات التي استنبطها ، وعلى هذا يكون من كتب الاستنباط ، لا من كتب علوم القرآن بالاصطلاح التدويني .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧ : ٣٧٩ ـــ ٣٨١) .

(٢) معجم الأدباء (٤ : ١٦٦٣) .

(٣) معجم الأدباء (١ : ٣٩٩) .

(٤) طبقات المفسرين ، لأحمد بن محمد الأدنه وي ، تحقيق : سليمان الخزي (ص : ٣٢٧) ، وشذرات الذهب (٧ : ٢٤٩) .

(٥) كشف الظنون (١ : ٦١٩) .

١٣- البيان في علوم القرآن لأبي عامر فضل بن إسماعيل الجرجاني ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ولم يذكر سنة وفاته (١).

وبتتبع المؤلفات في علوم القرآن يظهر أنَّ الكتابة في علم من علومه على استقلاله - كعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الوقف والابتداء ، وعلم أسباب النُّزول ... إلخ - أكثر من كتابة الكتب التي جمعت عدَّة علوم منه في كتاب مستقلٍّ .

علوم القرآن في تراجم العلماء:

إذا تتبعت تراجم العلماء ، وجدت منهم من يوصف بعلمه بعلوم القرآن، بل لقد اشتهر به بعضهم ، ومن هذه التراجم على سبيل المثال :

١- قال الأصمعي (ت : ٢١٥) : (قال لي أبو عمرو لو تهيأ لي أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلت لقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها) (٢).

٢- قال عمارة بن زيد المدني : (كنت صديقا لمحمد بن الحسن ، فدخلت معه إلى الرشيد ، فسأله عن أحواله ، فقال : في خير يا أمير المؤمنين ، ثم تسارَّا ، فسمعت محمد بن الحسن يقول : إن محمد بن إدريس الشافعي يزعم أنه للخلافة أهل .

قال : فغضب الرشيد ، وقال : عليَّ به . فأُتِي به ، حتى وقف بين يدي الرشيد، فَكَرِهَ الرشيد أن يعجل عليه من غير امتحان ، فقال له : هيه ؟

---

(١) كشف الظنون (١ : ٢٦٣) .

(٢) معرفة القراء الكبار (١ : ١٠٣) .

قال : وما هيه يا أمير المؤمنين ، أنت الداعي وأنا المدعو . وأنت السائل وأنا المجيب .

قال : فكيف علمك بكتاب الله ؟ فإنه أولى أن يُبتدأ به ؟

قال : جمعه الله في صدري وجعل جنبي دفتيه .

قال : فكيف علمك به ؟

قال : أي علم تريد يا أمير المؤمنين؟ أعِلْم تأويله أم عِلْم تنزيله ؟ أم مَكِّيُّه أم مدنيُّه ؟ أم ليليه أم نهاريه ؟ أم سفريه أم حضريه ؟ أم هجريه أم عربيه . فقال : له الرشيد : لقد ادعيت من علوم القرآن أمرا عظيما) (١).

٣- وعن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت:٢٥٥) قال: (ورد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر في عمال السلطان بالبصرة أبرع منه ، فدخلت مسلما عليه ، فقال لي : يا سجستاني ، من علماؤكم بالبصرة ؟ قلت : الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي ، والمازني أعلمنا بالنحو ، وهلال الرأي أفقهنا ، والشاذكوني من أعلمنا بالحديث ، وأنا ــ رحمك الله ــ أُنسَبُ إلى علم القرآن ، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط ...) (٢).

٤- وجاء في ترجمة محمد بن أحمد بن عبد الأعلى بن القاسم الأندلسي أبو عبد الله المقرىء (ت : ٣٩٣) ، قال الحاكم (ت : ٤٠٥) : (إنه كان متقدما في علم القرآن وإنه سمع بمصر والشام والعراق والجبال وأصبهان وأنه ورد بلاد خراسان) (٣).

---

(١) تاريخ دمشق : (٥١ : ٣١٩ ــ ٣٢٠) .

(٢) تاريخ بغداد (١١ : ٤٠٧) .

(٣) التدوين في أخبار قزوين (١ : ١٨٩٤) .

٥- وقال الذهبي (ت : ٧٤٨) في ترجمة أبي بكر أحمد بن الفضل الأصبهاني (ت : ٤٠٦) : (قال الدقاق : لم أر بأصبهان شيخًا جمع بين علم القرآن والقراءات، والحديث والروايات، وكثرة الكتابة والسماعات أفضل من أبي بكر الباطَرقاني) (١).

٦- وجاء في تذكرة الحفاظ للذهبي (ت : ٧٤٨) في ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي (ت : ٤٢٩) : (كان رأساً في علم القرآن : حروفه وإعرابه وناسخه ومنسوخه وأحكامه ومعانيه) (٢).

٧- وقال أبو القاسم بن بشكوال (ت: ٥٧٨)- في أبي عمرو الداني (ت : ٤٤٤) - : (وكان أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه ، وجمع في معنى ذلك كله تواليف حسانًا مفيدة) (٣).

٨- وجاء في ترجمة أبي محمد عبد الله بن سهل الأنصاري المرسي المقري شيخ القراء بالأندلس (ت:٤٨٥) ما نصه:(قال أبو الأصبغ بن سهل الكاتب : أشكلت علي مسائل من علم القرآن لم أجد فيمن لقيته من يشفيني حتى لقيته) (٤).

ومن خلال المعلومات السابقة يظهر أن (علوم القرآن) قد استُخدِم للدلالة على الآتي :

١- المعلومات التي حواها القرآن الكريم ، وهذا هو أوسع معنى استُخدِم فيه مصطلح (علوم القرآن) .

٢- القراءات وما يرتبط بها من علوم الأداء .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨ : ١٨٣) .

(٢) تذكرة الحفاظ (٣ : ١٠٩٩) .

(٣) الصلة ، لابن بشكوال (٢ : ٤٠٦) .

(٤) لسان الميزان (٣ : ٢٩٨) .

٣- علم التفسير على وجه الخصوص .

٤- علوم القرآن بالمصطلح التدويني ؛ كما هو عند الزركشي (ت : ٧٩٤) وغيره .

الفرق بين علوم القرآن وعلوم التفسير :

لا شكَّ أنَّ اختلاف الإضافات تدلُّ على اختلاف المصطلحات ، إلا إذا كان المضاف إليه له أكثر من نظير في معناه ؛كالذي سبق في مصطلح (علوم التَّنْزيل)، ومصطلح (علوم الكتاب) ، وأمثالها .

لكن الأمر هنا يختلف فالتفسير غير القرآن ، لذا فعلوم التفسير ليست هي علوم القرآن ، وأصول التفسير ليست هي علوم القرآن .

وإذا تأمَّلت الأمر وجدت أنَّ التفسير جزءٌ من علوم القرآن، بل هو أكبر علومه.

فعلوم القرآن تشمل التفسير - الذي هو بيانُ القرآنِ وشرحُه وإيضاحُه - من علوم القرآن ، وتشمل غيره من الأنواع ؛ كالمكي والمدني ، والقراءات ، والناسخ والمنسوخ ... الخ .

وبعض هذه الأنواع قد تكون مشتركة بين التفسير وعلوم القرآن ، وهذا أمر معتاد ، فكل ما هو من علوم التفسير ، فهو من علوم القرآن قطعًا ، وقد يكون إفراد هذه العلوم بعناوين مستقلة في كتب علوم القرآن مظنَّة الخلط الذي يقع بين المصطلحين .

ولأضرب لك مثالاً تحتذي به في بعض العلوم التي هي من صميم علم التفسير ، وذلك علم (غريب القرآن) ، الذي كتب فيه كتابًا مستقلاً جمهور من علماء اللغة المتقدمين ، وشاركهم فيه كثير من المتأخرين .

وإذا رجعت إلى كتب علوم القرآن المتقدمة المستوعبة لجملة علومه(١) وجدت أنهم يذكرون علم غريب القرآن عِلْمًا مستقلاً .

ففي كتاب **البرهان في علوم القرآن** الزركشي (ت : ٧٩٤) تجد قوله : (النوع الثامن عشر : معرفة غريبه)(٢) ، وتجد قوله:(النوع الحادي والأربعون : معرفة تفسيره وتأويله) (٣) .

وفي كتاب **الإتقان في علوم القرآن** ، للسيوطي (ت : ٩١١) تجد قوله : (النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه) (٤) ، وتجد قوله : (النوع السابع والسبعون في بيان تفسيره وتأويله ، وبيان شرفه ، والحاجة إليه) (٥) .

ومن هذا يتبين أن أهمَّ كتابين متقدمين في علوم القرآن قد جعلا علم " غريب

---

(١) لقد أغفلت كثير من كتب علوم القرآن غير المستوعبة لجلِّ علومه ، وخصوصًا الكتب المعاصرة جملة من الموضوعات التي طرحها الزركشي والسيوطي في كتابيهما ، واعتنوا ببعضِ علومه ، حتى صار من يؤلف في علوم القرآن لا يكاد يخرج عنها ، وقد أُغفلت بهذا بعض علوم القرآن المهمة ، حتى إنك لا تكاد تجدها ، أو إنك تجدها في كتاب أو كتابين .

وأكبر سبب في ذلك أنَّ المؤلفين المعاصرين لم يقصدوا التأليف المستوعب لهذه العلوم ؛ لأنهم يكتبون ما يدرِّسونه في المدارس والمعاهد والجامعات ، وحال المقررات كما هو معلومٌ الانتقاء من موضوعات العلوم ، فكان ذلك مما أثر في ترك بعض علوم القرآن ، وعدم دراستها .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١ : ٢٩١) .

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢ : ١٤٦) .

(٤) الإتقان في علوم القرآن (٢ : ٣) .

(٥) الإتقان في علوم القرآن (٤ : ١٦٧) .

القرآن" علمًا مستقلاً ، كما جعلا علم التفسير علمًا مستقلاً ، وإذا تأمَّلت الأمر ، وجدت أنَّ علم غريب القرآن من علوم التفسير الأصيلة التي لا يمكن أن تنفكَّ عنه، فما من مفردة إلا ولها معنى ، ومن جَهِلَ معنى من معاني ألفاظ القرآن فأنَّى له أن يفسِّر ؟!

ومن ثَمَّ ، فإنك لو جعلت علم غريب القرآن مندرجًا تحت علم التفسير دون أن تُفْرِدَهُ بمبحث مستقلٍّ ، فإنَّ ذلك الأمر صوابٌ بلا ريبٍ ، ولو أفردته وجعلته علمًا مستقلاً من علوم القرآن فإنَّ الأمر محتملٌ ، لكن يحسن بك أن لا تظنَّ أنَّ بين علم (التفسير) و(علوم القرآن) تنازع في هذا المبحث ، بل هو من علم التفسير ، وهو من باب أولى من علوم القرآن ؛ لأنَّ علم التفسير جزء من علوم القرآن .

ولسائل أن يسأل : إذا كانت بعض العلوم الموجودة في كتب علوم القرآن هي من علوم التفسير ، فكيف أستطيع التفريق بينهما ؟

والجواب عن ذلك فيما يأتي :

أولاً : هناك معلومات نظرية مرتبطة بالتفسير ، فهو كأي علمٍ آخر لا ينفكُّ عن هذه المعلومات النظرية ؛ كالبحث في طبقات المفسرين ، ومناهج المفسرين ، وتاريخ التفسير ، فإن هذه العلوم تدخل في علم التفسير العام ؛ لأنَّ البحث عن التفسير يجرُّ إلى مثل هذه الموضوعات العلمية النظرية .

ثانيًا : هناك معلومات لا تؤخذ إلا من التفسير، وهي تمثِّل جزءًا من علومه، وهي على قسمين :

القسم الأول : أن يكون العلم مما لا أثر له في التفسير ؛ كعلم مبهمات القرآن .

القسم الثاني: أن يكون العلم مما له أثر واضح جدًّا؛ كعلم أسباب النُّزول .

ثالثًا : إذا كان النظر إلى ماهيَّةِ التفسير الذي هو بيان لمعاني القرآن الكريم، فإنَّ أي معلومة لها أثر في بيان المعنى فإنها تدخل في علم التفسير .

وعلوم القرآن تنقسمُ إلى أقسام بالنسبة إلى هذه الفكرة :

الأول : أن يكون أصل العلم من العلوم التي لها أثر في التفسير ؛ كعلم غريب القرآن ، وعلم أسباب النُّزول، فوجوده في كتب علوم القرآن على أنه من علومه ، لا يعني أنه ليس من علوم التفسير ، فالعلاقة واضحة بينه وبين التفسير .

الثاني : أن يكون العلم لا علاقة له بالتفسير ؛ لأنه لا أثر له فيه ؛ كعلم (عدد الآي) ، وعلم (تلاوة القرآن) ، وعلم (فضائل القرآن) ، فالأصل في هذه العلوم أنها لا أثر لها مباشر في التفسير .

الثالث : أن يكون أصل العلم لا علاقة له بالتفسير ، لكن قد يوجد فيه بعض المسائل العلمية التي يكون فيها مساس مباشر بالتفسير دون غيرها من مسائل ذلك العلم، فتكون هذه المعلومة بذاتها من التفسير دون غيرها من مسائل ذلك العلم ، ومن ذلك علم (المكي والمدني) ، فإنَّ ما يرتبط بتاريخ النُّزول يفيد المفسر في الترجيح بين الأقوال ، وفي معرفة الناسخ من المنسوخ ، أما ما عدا ذلك من مباحث ذلك العلم فإن الغالب عليها أنها مما لا أثر له في التفسير ، فهي من علوم القرآن ، لا التفسير .

الفرق بين علوم التفسير وأصول التفسير :

إن أصول التفسير أخصُّ من علوم التفسير ، والمسائل التي تُدرسُ في الأصول غالبًا ما تمثِّل شكل القاعدة التي يندرج تحتها أمثلة متعددة ،وتكون من مبادئ هذا العلم، ويغلب عليها الجانب التطبيقي ، ومن عرفها فإنه يسهل عليه ممارسة علم التفسير .

وتحديد مسائل هذا العلم اجتهادي ، تختلف فيه الأنظار ، غير أنَّه يمكن وجود ضابطٍ في مسائل هذا العلم ، ويمكن وصفها بأنها : جملةُ العلوم التي إن عرفتها تستطيع أن تمارس التفسير ، وتقرأ فيه وأنت متمكن من معرفة الصحيح من الضعيف والباطل .

أمَّا إذا كانت معلوماته عامَّةً ، ولا تختلف عن معلومات علوم القرآن ، فإنَّ في إدخالها في أصول التفسير نظر ، وغالبًا ما يكون سبب ذلك التسامح - لا التحرير - في إطلاق المصطلح ، وجعلِه عنوانًا للكتاب الذي يحمل جملة من علوم القرآن وقليلاً من أصول التفسير .

ومن هنا يكون النظر إلى المحتوى الذي يشمله الكتاب لا إلى العنوان ، لذا قد تجد جزءًا من كتاب ما يحمل جملة كبيرة من أصول التفسير ، وإن كان الكتاب ليس في علم التفسير ولا علوم القرآن ، ومن ذلك ما تجده في كتاب الموافقات للشاطبي (ت :٧٩٠) ، فقد طرح فيه مسائل كثيرة هي من أصول التفسير(١) ، خصوصًا في القسم المتعلق بالكتاب - أي : القرآن - من الأدلة التفصيلية (الكتاب والسنة والإجماع والقياس) ، وإن كان الكتاب - كما ترى - من كتب أصول الفقه .

وفي نظري أنَّ مسائل أصول التفسير الكبرى أربعة أقسام :

الأول : معلومات نظرية تشمل التعريف بالعلم وكتبه ومصادره ، ومصادر التفسير (أي : طرقه) ،وغيرها من المقدمات النظرية التي يتطرق إليها في مقدمة كل علم.

---

(١) ينظر كتاب الموافقات للشاطبي ، تحقيق : مشهور بن حسن آل سلمان (٤: ١٤٣ وما بعدها) ، وهذا الكتاب مليء بمعلومات تتعلق بعلوم القرآن وأصول التفسير ، وهو من الكتب التي قلَّت الاستفادة منه في كتب أصول التفسير وعلوم القرآن المعاصرة .

الثاني : الاختلاف في التفسير أنواعه وأسبابه .

الثالث : كيفية التعامل مع هذا الاختلاف ، ويشمل قواعد التفسير .

الرابع : كيف نفسِّر القرآن ؟ وهذا الموضوع يمثِّل الشقَّ الثاني لدراسة أصول التفسير ، وهو كالنتيجة للقسم الأول الذي يتمثَّل بمعرفة المنهج الصحيح الذي سار عليه التفسير .

ويدخل في هذه الموضوعات بعض المسائل الجزئية التي لا تشكِّل موضوعًا عامًّا ، كدراسة عبارات السلف في التفسير الذي يمكن أن يدخل في موضوع الاختلاف في التفسير .

ولا تُدرس مسائل أصول التفسير الموجودة في بعض علوم القرآن بأسلوب موسع كما يُدرسُ ذلك العلمُ مستوعبًا في علوم القرآن أو علوم التفسير ، بل تتكوَّن مسائل أصول التفسير بعد دراسة هذه العلوم ، ويؤخذ منها المعلومات المتعلقة بأصول التفسير فحسب ،دون غيرها من التفاصيل الموجود في ذلك العلم، ولأضرب لذلك مثالاً يُحتذى :

سبق طرح علم (غريب القرآن) كعلم مشترك بين علوم القرآن وعلوم التفسير ، فهل لهذا العلم علاقة بأصول التفسير ؟

في علم أصول التفسير لا تدرس جزيئات هذا العلمِ مفصلة كما تدرسها في ذينك العلمين ، بل تلتقط من ذلك العلم جزئيات تمثلُّ قاعدة كلية بذاتها ؛ كالمشترك اللغوي في الألفاظ، الذي يمكن الاستفادة منه في عدد من مسائل أصول التفسير، منها :

❋ الاحتمال الوارد في التفسير،إذ يمكن أن تُسْبَكَ قاعدةٌ متعلقة بالمشترك اللغوي ، فيقال : إن اللفظ إذا كان له أكثر من معنى لغوي صحيح ، وقد فسَّرها بها السلف فالأصل قبولها ، وهذه القاعدة ترجع إلى المشترك اللغوي كما هو ظاهر .

❋ أن الاشتراك اللغوي سبب من أسباب الاختلاف في التفسير .

ويمكن أن تسبك قاعدة أخرى متعلقة بالألفاظ ، وهي : كل معنى غير وارد في لغة العرب ، فلا يجوز تفسير القرآن به .

وهكذا غيرها مما تُخرجه من تضاعيف هذه العلوم ، فإنك لا تدرسها بجزئياتها وتفصيلاتها كما في علوم القرآن والتفسير ، وإنما تلتقط منها ما يناسب موضوع أصول التفسير .

وبعد ، فإن علم أصول التفسير جزء من علوم التفسير ، وعلوم التفسير جزء من علوم القرآن .

تصنيف أنواع علوم القرآن وترتيبها :

إن تصنيف علوم القرآن مما يحتاج إلى إعادة نظر، بحيث يكون الترتيب منطقياً وتجمع الأشباه والنظائر إلى بعضها وترتب أواخرها على أوائلها.

ومن أحسن الاجتهادات في ترتيب أنواع علوم القرآن وتصنيفها ما قام به البُلْقِيني (ت : ٨٢٤) في كتابه مواقع العلوم من مواقع النجوم ، قال : (... وأنواع القرآن شاملة ، وعلومه كاملة ، فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى علمي مما حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف ، وينحصر في أمور :

الأمر الأول : مواطن النُّزول وأوقاته ووقائعه ، وفي ذلك اثنا عشر نوعًا:

المكي ، المدني ، السفري ، الحضري ، الليلي ، النهاري ، الصيفي ، الشتائي ، الفراشي ، النومي ، أسباب النُّزول ، أول ما نزل ، آخر ما نزل .

الأمر الثاني : السند ، وهو ستة أنواع :

المتواتر ، الآحاد ، الشاذ ، قراءات النبي ، الرواة ، الحفاظ .

الأمر الثالث : الأداء ، وهو ستة أنواع :

الوقف ، الابتداء ، الإمالة ، المد ، تخفيف الهمزة ، الإدغام .

الأمر الرابع : الألفاظ ، وهو سبعة أنواع :

الغريب ، المعرب ، المجاز ، المشترك ، المترادف ، الاستعارة ، التشبيه .

الأمر الخامس : المعاني المتعلقة بالأحكام ، وهو أربعة عشر نوعًا :

العام الباقي على عمومه، العام المخصوص ، العام الذي أريد به الخصوص ، ما خص فيه الكتاب السنة ، ما خصصت فيه السنة الكتاب ، المجمل ، المبين، المؤول ، المفهوم ، المطلق ، المقيد ، الناسخ ، والمنسوخ ، نوع من الناسخ والمنسوخ وهو ما عمل به من الأحكام مدة معينة والعامل به واحد من المكلفين .

الأمر السادس : المعاني المتعلقة بالألفاظ ، وهو خمسة أنواع :

الفصل ، الوصل، الإيجاز ، الإطناب ، القصر .

وبذلك تَكَمَّلت الأنواع الخمسين .

ومن الأنواع ما لا يدخل تحت الحصر الأسماء الكنى الألقاب المبهمات) (١).

وهذا الترتيب من أجمع ما وقع في تصنيف أنواع علوم القرآن وترتيب نظائرها تحت علم عامٍّ يجمعها،وإن لم يسمِّ هذه العلوم بمسمًّى واضح،كما هو ظاهر من الأمور الستة التي جعلها أصلا يرجع إليها خمسون علمًا من علوم القرآن.

---

(١) الإتقان (١ : ٥ ــ ٦) .

وعلوم القرآن بحاجة إلى أمرين :

الأول: تصنيف المتناظرات في العلم تحت مسمى علم واحد ، فيجمع ما بتعلق بنُزول القرآن تحت (علم نزول القرآن) ، وما يتعلق بأداء القرآن يجمع تحت (علم أداء القرآن) ، وما يتعلق بأحكام القرآن يجمع تحت (علم أحكام القرآن) .

الثاني : ترتيب العلوم في الصنف الواحد ، ثم ترتيب هذه الأصناف في علوم القرآن بحيث لا تؤخذ معلومة تحتاج إلى علم لم يؤخذ قبلها ، بل تتناسق المعلومات الواحد تلو الآخر ،فيردُّ إلى ما سبق دون الحاجة إلى شرحٍ مستطرد لمعلومة ستأتي فيما بعد.

ومن أمثلة ذلك أن يُدرس موضوع (الأحرف السبعة) قبل موضوع (القراءات القرآنية) ، كما أنه يُدرس أيضًا قبل موضوع (جمع القرآن) ؛ لأنه إذا درس هذين الموضوعين قبل موضوع (الأحرف السبعة) ، فإن سيُضطر إلى الاستطراد في معرفتها لاحتياج هذين الموضوعين لها ، وإلا لبقيت (الأحرف السبعة) طلاسم يحال إليها لا يعرف منها سوى المصطلح شيئًا .

ولقد نظرت بتأمُّلٍ إلى أنواع العلوم التي في علوم القرآن ، فظهر لي أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : العلوم الناشئةُ منه ، وهي ما كانت متعلقةً به تعلقًا مباشرًا، ولا تخرج إلا منه ، ومن هذه العلوم :

١- علم نزول القرآن ، وأحواله .

٢- علم القراءات ، وما يرجع إلى كيفية أدائه ، وآداب تلاوته وأحكامها.

٣- علم جمع القرآن وتدوينه .

٤- علم الرسم والضبط .

٥- علم عدِّ الآي .

٦- علم فضائل القرآن .

٧- علم خصائص القرآن .

٨- علم مبهمات القرآن .

٩- علم سوره وآياته .

١٠- علم الوقف والابتداء .

١١- علم المكي والمدني .

١٢- علم أسباب النُّزول .

١٣- علم التفسير ، ويدخل فيه جملة من العلوم المرتبطة بالتفسير ؛ كأصول التفسير ، وطبقات المفسرين ومناهج المفسرين وغيرها .

١٤- علم أمثال القرآن .

١٥- علم أقسام القرآن .

١٦- علم الوجوه والنظائر .

القسم الثاني : العلوم المشتركة مع غيره من العلوم ، وهي على قسمين :

الأول : العلوم المرتبطة به كنصٍّ شرعيٍّ تؤخذُ منه الأحكامُ التشريعية ، ويشاركه فيها الحديث النبويُّ ؛ لأجل هذه الحيثيةِ ، وقد نشأ عن دراستهما من هذه الجهة علم الفقه وعلم أصول الفقه ، فما كان في هذين العلمين من موضوعات مشتركة مع علوم القرآن ؛ فإنها ترجع إلى كونه نصٌّ تشريعيٌّ .

ومن هذه العلوم :

١- علم الأحكام الفقهية .

٢- علم الناسخ والمنسوخ .

٣- علم العام والخاص .

٤- علم المطلق والمقيد .

٥- علم المجمل والمبين .

٦- علم المحكم والمتشابه .

وهذه العلوم ترتبط بعلم الفقه وأصوله ، وبعلم الحديث كذلك ، ولا يعني هذا أنَّ هذه العلوم أصلٌ في هذا العلم وفرعٌ في ذاك ، وإنما هي متعلقة بالنصِّ الشرعي سواءً أكان قرءانًا أم سنة ، وبحثها في هذه العلوم يتفق في مسائل ويختلف في أخرى تبعًا لمنهج كلِّ علمٍ .

الثاني : العلوم المرتبطة به باعتباره نصًّا عربيًّا ، وهذه العلوم تعتبر من العلوم الخادمة له : ويدخل في ذلك جملة من علوم الآلةِ ؛ كعلم النحو ، وعلم البلاغة ، وعلم الصرف .

ويدخل فيه :

١- علم معاني القرآن .

٢- علم متشابه القرآن .

٣- علم إعراب القرآن .

٤- علم أساليب القرآن .

٥- علم لغات القرآن ،ويشمل ما نزل بغير لغة الحجاز، وما نزل بغير لغة العرب، وهو ما يسمى بالمعرَّب .

٦- علم غريب القرآن .

ويشاركه في ذلك أي نصٍّ عربيٍّ من نثرٍ أو شعرٍ ، مع مراعاة قدسيَّةِ القرآن، وأنه - مع كونه نصًّا عربيًّا - لا يلزم أن يرد فيه كل ما ورد عن العرب، ولا أن يُحمل على غرائب ألفاظهم وأساليبهم .

وتقسيم هذه العلوم ضمن مجموعات متجانسة تحت أمر كليٍّ مما يمكن أن تتعدَّد فيه الاجتهادات ، وليس في ذلك مشاحَّة ، بل في الأمر سعة ظاهرة .

أنواع علوم القرآن

العلوم الناشئة منه

١- علم نزول القرآن وأحواله.
٢- علم القراءات.
٣- علم جمع القرآن وتدوينه.
٤- علم الرسم والضبط.
٥- علم عدِّ الآي.
٦- علم فضائل القرآن.
٧- علم خصائص القرآن.
٨- علم مبهمات القرآن.
٩- علم سوره وآياته.
١- علم الوقف والابتداء
١١- علم المكي والمدني.
١٢- علم أسباب النزول.
١٣- علم التفسير.
١٤- علم أمثال القرآن.
١٥- علم أقسام القرآن.
١٦- علم الوجوه والنظائر.

العلوم المشتركة مع غيره

العلوم المرتبطة باعتباره نصاً شرعياً	العلوم المرتبطة باعتباره نصاً عربياً
١- علم الأحكام الفقهية.	١– علم معاني القرآن.
٢- علم الناسخ والمنسوخ.	٢– علم متشابه القرآن.
٣- علم العام والخاص.	٣– علم إعراب القرآن.
٤- علم المطلق والمقيد.	٤– علم أساليب القرآن.
٥- علم المجمل والمبين.	٥– علم لغات القرآن.
٦- علم المحكم والمتشابه.	٦– علم غريب القرآن.

ملاحظات حول علوم القرآن :

أ- يلاحظ أنَّ ارتباط معلومات العلوم الأخرى بعلم القرآن قد يختلف من علمٍ إلى علمٍ ، فعلم اللغة وعلم البلاغةِ أكثر ارتباطًا بعلوم القرآن من علمِ الصرف ؛ لأنهما يرتبطان بعلم إعجاز القرآن .

كما يلاحظُ أنَّ البحث عن **علم إعجاز القرآن** انبثق عنه البحث عن **علم البلاغة العربية** ، لكنَّ علم إعجاز القرآنِ — مع كونه عند السابقين يتعلق بنظم القرآن وعربيته من حيث العموم — من العلوم الخاصَّة بالقرآن ولا يشاركه فيه غيره من الكلام العربيِّ حتى لو كان الحديثَ القدسيَّ (١) .

ومن ثَمَّ ، فإنَّ تلك العلوم من لغة وبلاغة وغيرها إنما هي خادمة له ، ومبيِّنة لفضل القرآن على ما سواه من الكلام العربيِّ .

ب- من هذا الترتيب تعلم أنَّ جملة من العلومِ الإسلامية قد تكون مشتركة في مباحثها مع جملة من أنواع علوم القرآنِ ، ويكون بينهما تداخل وترابط .

ج- إنَّ تصنيف العلم بأنه من العلوم الناشئة من القرآن لا يعني أنه لا يُستفاد في مباحثه من غيره من العلوم التي يشارك القرآن فيها غيره ؛ لأنَّ النظر هنا إلى أصل بروز هذا العلم ، وأنه لو لم يكن هناك قرآن لما وُجد مثل هذا العلم .

فإن قيل : إنَّ عناية المسلمين بالقرآن هي السبب في بروز كثير من العلوم الإسلامية؛ كعلوم العربية مثلاً ، التي كان أصل البحث فيها لخدمة هذا الكتاب من

---

(١) إن لفظ الحديث القدسي ومعناه من الله سبحانه ؛ لأنَّ الرسول ﷺ يقول فيه « قال الله ... » ، فالأصل أن يكون من قول الله ابتداءً ، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا بدليل .

ويقع عند بعضهم شبهة ، وهي كيف يكون الفرق بين القرآن والحديث القدسي إذا كان كذلك في مسألة الإعجاز ؟

وهذه الشبهة فيها نظر ؛ لأنه يلزم منها أن يكون كل كلام الله معجزًا ، وهذا ما لا يدل عليه نصٌّ أبدًا ، وإنما وقع التحدي بالقرآن فقط ، فكان معجزًا ، أما سائر كلام الله فلم يقع فيه تحدٍّ .

وجوه متعددة : حفظ عربيته من اللحن ، ومعرفة معنى ألفاظه ، ومعرفة جملة أساليبه ... الخ .

فالجواب : إن هذا القول صحيح ، لكن هذه العلوم تأتي في المرتبة الثانية من حيث الترتيب ، فهي من العلوم الخادمة والمساعدة ، وكان يمكن ــ افتراضًا ــ أن تقوم العلوم المرتبطة بالعربية بدون القرآن ، وإن كان القرآن هو السبب الأكبر في بروزها ونشوئها .

د– أن النظر إلى أنواع علوم القرآن من منطلق التعديد والتكثير لا يمكن حصره ، حتى لقد قال بعضهم إن تحت كل حرفٍ علمًا من علوم القرآن ، كما ادَّعى بعضهم أنَّ علومَ القرآنِ لا تُحصى عددًا ، قال ابن العربيِّ (ت : ٥٤٣): (وقد ركَّبَ العلماءُ على هذا كلامًا ، فقالوا : إنَّ علومَ القرآنِ خمسونَ علمًا ، وأربعُمائة علمٍ ، وسبعةُ آلاف ، وسبعونَ ألفَ علمٍ ، على عدد كَلِمِ القرآنِ، مضروبةً في أربعةٍ ، إذ لكلِّ كلمةٍ منها ظهرٌ وبطنٌ ، وحدٌّ ومطلع . هذا مطلقٌ دون اعتبارِ تركيبِه ، ونَضْدِ بعضِه إلى بعضٍ، وما بينها من روابط على الاستيفاءِ في ذلك كلِّه ، وهذا مما لا يحصى، ولا يعلمُه إلاَّ اللهُ) (١) .

وهذا تكثيرٌ لا دليل عليه ، ولا حاجة تدعو إليه ، ولا شكَّ أنَّ النظر في عدِّ هذه العلوم قد اختلف عند هذا القائل به ، ولأضرب لك مثلاً من كتاب (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي (ت : ٩١١) ترى فيه تشقيق علومٍ تندرج تحت علمٍ واحدٍ .

عدَّ السيوطي (ت : ٩١١) من النوع الثلاثين إلى النوع الخامس والثلاثين ما يأتي:

---

(١) قانون التأويلِ ، لابن العربيِّ ، تحقيق : محمد السليماني (ص : ٥٤٠) .

(الثلاثون : في الإمالة والفتح وما بينهما .
الحادي والثلاثون : في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب .
الثاني والثلاثون : في المدِّ والقصر .
الثالث والثلاثون : في تخفيف الهمزة .
الرابع والثلاثون : في كيفية تحمُّله .
الخامس والثلاثون : في آداب تلاوته) (١).

وهذه كلها تدخل في نوع واحدٍ ، وهو علم الأداء، ولا داعي لهذا التكثير، وإلاَّ لاستدرِك عليه غيرها من علوم الأداء .

كما تجد أنَّ السيوطيَّ (ت : ٩١١) أراد أن ينحو بعلوم القرآن إلى مصطلحات غيره من العلوم ، لذا تجدُّ يعدُّ علومًا لا تكاد توجد إلا في أمثلة قليلة، وما دعاه إليها إلا تنظير هذا العلم بغيره ، قال :

(الحادي والعشرون : في العالي والنازل. الثاني والعشرون : في معرفة المتواتر .
الثالث والعشرون : في المشهور . الرابع والعشرون : في الآحاد .
الخامس والعشرون : في الشاذِّ . السادس والعشرون : الموضوع .
السابع والعشرون : المدرج) (٢).

وهذه التقسيمات غريبة على علوم القرآن ، وليست منه بل هي من علوم مصطلح الحديث ، ولا يوجد أثر علمي في معرفة هذه التفصيلات التي قد تدعو إلى التكلف.

ومما يدل على أثر الكتابة في أنواع علوم الحديث على أنواع علوم القرآن أن المؤلفين الذين قصدوا جمع أنواع علوم القرآن جعلوا علة كتابتهم أنهم لم يجدوا

---

(١) الإتقان ، للسيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (١ : ١٥) .

(٢) الإتقان للسيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (١ : ١٥) .

لعلوم القرآن ما يجمع أصولها مثل ما هو الحال في علوم الحديث ، وإليك النصوص الدالة على ذلك :

١- قال الزركشي (ت : ٧٩٤) : (ولما كانت علوم القرآن لا تحصى ، ومعانيه لا تستقصى ، وجبت العناية بالقدر الممكن .

ومما فات المتقدمين وضعُ كتاب يشتمل على أنواع علومه ، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ، فاستخرت الله تعالى - وله الحمد - في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه ، وخاضوا في نكته وعيونه ، وضمنته من المعاني الأنيقة ، والحكم الرشيقة ما يهز القلوب طربًا ، ويبهر العقول عجبًا ؛ ليكون مفتاحًا لأبوابه ، وعنوانًا على كتابه ، معينًا للمفسر على حقائقه ، مطلعًا على بعض أسراره ودقائقه ، وسميته البرهان في علوم القرآن) (١).

٢- قال علم الدين البلقيني (ت : ٨٢٤) في خطبة كتابه مواقع العلوم من مواقع النجوم : (قد اشتهرت عن الإمام الشافعي ﷺ عنه مخاطبةٌ لبعض خلفاء بني العباس ، فيها ذكر بعض أنواع القرآن يحصل منها لمقصدنا الاقتباس ، وقد صنف في علوم الحديث جماعة في القديم والحديث ، وتلك الأنواع في سنده دون متنه ، وفي مسنديه وأهل فنه ، وأنواع القرآن شاملة وعلومه كاملة ، فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى علمي مما حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف ، وينحصر في أمور ...) (٢).

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (١ : ٩) .

(٢) الإتقان (١ : ٤ ــ ٥) .

٣- قال السيوطي (ت : ٩١١) في التحبير في علم التفسير : (وإن مما أهمل المتقدمون تدوينه ، حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة علم التفسير ، الذي هو كمصطلح الحديث ، فلم يدونه أحد لا في القديم ولا في الحديث ...) (١).

وقال في الإتقان في علوم القرآن : (ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتابا في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ...) (٢).

وهذا يفسر تأثير الكتابة في أنواع علوم الحديث على الكتابة في أنواع علوم القرآن ، والمسألة ظاهرة بالتتبع في الأنواع التي ذكرها هؤلاء الأعلام الثلاثة في كتبهم .

هـ- مسائل علوم القرآن بين النقل والاجتهاد .

إذا نظرت إلى علوم القرآن وسبرتها فإنه سيظهر لك ما يأتي :

أولاً : أنَّ جملة من مسائله نقلية لا مجال فيها للرأي ، كعلم القراءات ، وعلم أسباب النُّزول ، وعلم مبهمات القرآن ، وعلم فضائل القرآن .

ثانيًا : أن جملة منها الأصل فيها نقلي ، لكن إذا انعدم النقل قام القياس والاجتهاد المبني على النقلي ؛ كعلم المكي والمدني .

قال السيوطي (ت : ٩١١) : (وقال الجعبري : لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي ، وقياسي .

فالسماعي : ما وصل إلينا نزوله بأحدهما .

---

(١) التحبير في علم التفسير ، للسيوطي ، تحقيق : فتحي عبد القادر فريد (ص : ٢٨) .

(٢) الإتقان (١ : ٤) .

والقياسي : كل سورة فيها : يا أيها الناس فقط ، أو كلا ، أو أولها حرف تَهَجٍّ سوى الزهراوين والرعد، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة = فهي مكية.

وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية .

وكل سورة فيها فريضة أو حَدٌّ فهي مدنية) (١).

ثالثًا : وأن بعضًا من علومه مبني على الاجتهاد المحض ؛ كعلم تناسب الآي والسور ، وعلم إعجاز القرآن .

وإذا كان ذلك كذلك ، فإن بعض المسائل العلمية في علوم القرآن قد تكون من باب الاجتهاد المستند إلى النصوص ، أو إلى الواقع المرتبط بالمسألة ، أو إلى غيرها من القرائن التي يستند إليها المجتهد في بيان بعض مسائله وتحريرها .

ومن ثمَّ ، فلا تثريب على من تكلم عن هذه المسائل التي تعتمد على الاستنباط والاستدلال ما دام كلامه مبنيًا على علم ، كما هو الحال في غيره من العلوم التي يقع فيها الاجتهاد .

و- إنَّ هذا العلم مليءٌ بالأمثلة والتطبيقات ، ودراسة هذه الأمثلة تُكسِبُه نوعًا من الجِدَّةِ والمتعة التي يفتقدُها من يدرسه بلا تطبيقاتٍ .

ومن أهم مصادر هذه التطبيقات :

١- **القرآن الكريم** ، وذلك في الموضوعات التي توجد أمثلته في الآيات ؛ كقصص القرآن ، وأمثال القرآن ، وأقسام القرآن ، وغيرها من الموضوعات .

٢- **تفسيرات السلف،** إذ أن الأصل أنَّ هذه العلوم عنهم صدرت، ومنهم تؤخذ.

٣- **الكتب المفردة في علومه** ، ككتب الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النُّزول ، وغيرها ، وهذه الكتب قد تكون مجالاً لتطبيق العلم الذي كُتِبت من أجله ، وقد

---

(١) الإتقان (١ : ٤٨) .

يوجد فيها مجالٌ لغيره من العلوم الأخرى ، كالمكي والمدني – مثلاً – يمكن أن يدرس من خلال كتب الناسخ والمنسوخ أو من خلال كتب أسباب النُّزول ، لما بين هذه العلوم من العلاقة الوثيقة .

٤– كتب التفسير المطولة ، إذ يوجد فيها تحريرات للمفسرين قد لا توجد في كتب علوم القرآن .

٥– كما يمكن أن تُدرس بعض علومه فيما طُرِح في كتب العلوم الأخرى، ثُمَّ الموازنة بين هذا العلم في علوم القرآن وفي كتب العلوم الأخرى ؛ كعلم الناسخ والمنسوخ في كتب علوم القرآن وكتب أصول الفقه ، أو علم أحكام القرآن في كتب أحكام القرآن وكتب الفقهاء ، وهكذا .

وأخيرًا ، فالموضوع لا زال بحاجة إلى مزيد عناية وطرح من المتخصصين ؛ ليظهر ما في هذا العلم من كنوز مدفونة ، ويخرج بحلَّة مشوقةٍ يدعو القارئ إلى المتابعة فيه ، والعناية به ، والله الموفق.

* * *

فهرس المراجع

استدراكات على تاريخ التراث العربي / قسم التفسير وعلوم القرآن ، حكمت بشير ، نشر دار ابن الجوزي .

الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة المشهد الحسيني بالقاهرة .

البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ .

التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور ، نشر الدار التونسية .

التدوين في أخبار قزوين ، لعبد الكريم الرافعي القزويني ، تحقيق عزيز الله العطاردي ، نشر مكتبة المطبعة العزيزية حيدر أباد ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ .

الصلة ، لابن بشكوال ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة .

الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط /مخطوطات التفسير وعلومه، نشر مؤسسة آل البيت بالأردن .

الفهرست، لابن النديم ، تحقيق ناهد عباس عثمان ، نشر دار قطري بن الفجاءة.

الفهرست لابن النديم ، نشر دار المعرفة ١٣٩٨ .

المعرفة والتاريخ ، للفسوي ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠١ .

الموافقات ، للشاطبي ، تحقيق مشهور حسن آل سلمان ، نشر دار ابن عفان .

تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، نشر دار الكتاب العربي ببيروت .

تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، نشر دار إحياء التراث ببيروت .

تفسير الثعلبي (مخطوطة المحمودية بمكتبة الحرم بالمدينة المنورة) .

تفسير الطبري ، تحقيق : شاكر ، مصورة عن طبعة دار المعارف .

دراسات في علوم القرآن، للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ، ط٧.

سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، مجموعة من المحققين تحت إشراف شعيب الأرناؤوط ، نشر الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٢ .

شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ،طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت .

صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

طبقات المفسرين للأدنه وي ، تحقيق الدكتور سليمان الخزي ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ١٤١٧ .

فهم القرآن ، للحارث المحاسبي ، تحقيق حسين القوتلي ، نشر دار الكندي ودار الفكر ، الطبعة الثاني ١٣٩٨ .

قانون التأويل ، لابن العربي ، تحقيق الدكتور محمد السليماني ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لمصطفى عبد الله ، المعروف بحاجي خليفة ، نشر دار الفكر ببيروت ١٤٠٢ .

مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، جمع ابن قاسم ، نشر مجمع الملك فهد .

مختصر التبيين لهجاء التنْزيل ، لأبي داود سليمان بن نجاح ، تحقيق الدكتور أحمد شرشال ، نشر مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية .

مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأحمد بن حنبل الشيباني ، الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة.

مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق كمال الحوت ، نشر الرشد بالرياض ١٤٠٩.

معالم التنْزيل ، للبغوي ، تحقيق خالد العك ،ومروان سوار ، الطبعة الثانية ، نشر دار المعرفة ببيروت ، ١٤٠٧ .

معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، تحقي الدكتور إحسان عباس ، نشر دار الغرب ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ .

معرفة القراء الكبار ، للذهبي ، حققه بشار معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، نشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤.